

مذكرات التحرير

أميرة صلاح أحمد
سارة السرجاني
طارق شلبي
محمد الدهشان
محمود سالم
نادية العوضي

دار الشروق

مذكرات التحرير

مذكرات التحرير

أميرة صلاح أحمد - ترجمة: ندى حجازي
سارة السرجاني - ترجمة: عاطف عثمان
طارق شلبي - ترجمة: غادة محمد محمود
محمد الدهشان - ترجمة: نوران إبراهيم
محمود سالم - ترجمة: رحاب بسام
نادية العوضي - ترجمة: نوران إبراهيم

تصميم الغلاف: شيماء عزيز

تحرير: رحاب بسام

الطبعة الأولى ٢٠١٢

تصنيف الكتاب: سياسة / أحداث جارية

٨ شارع سيبويه المصري
مدينة نصر - القاهرة - مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
www.shorouk.com

رقم الإيداع ٣٦٤٥/ ٢٠١٢
ISBN 978-977-09-3120-2

مذكرات التحرير

أميرة صلاح أحمد — محمد الدهشان
سارة السرجاني — محمود سالم
طارق شلبي — نادية العوضي

المحتويات

٢ من فبراير

٣ من فبراير

٤ من فبراير

٥ من فبراير

٦ من فبراير

٨ من فبراير

٩ من فبراير

١٠ من فبراير

١١ من فبراير

مقدمة

مضى عام كامل منذ اندلاع ثورة يناير ولا تزال المعركة مع النظام مستمرة. نجحتِ الجماهير المصرية في الإطاحة بمبارك، ولكن يبقى أذنابه وفلوله ولواءاته ومخبروه أحياءً يُرزقون ومستمرين في مناصبهم واتباع سياسات المخلوع.

ما زالت القلعة الكئيبة الكائنة بماسبيرو تبثّ سمومها وأكاذيبها وتحاول أن تستكمل رسالتها غير السامية: تغييب وتزييف الحقيقة والتهليل لمَن يمسك مقاليد الحكم في البلاد سواء أكان يقطن في قصر العروبة أم في الخليفة المأمون.

أين الحقيقة وأين الكذب؟ ماذا حدث في يوم ٩ من أكتوبر؟ هل خطف المتظاهرون مدرعات الجيش المصري وقتلوا أنفسهم كما زعم التلفزيون الرسمي، أم دهس الجيش المتظاهرين العزل؟ هل الشباب الذي قاتل قوات الشرطة في معركة شارع محمد محمود في نوفمبر «بلطجية» و«مأجورون» كما زعمتْ صحف النظام المسماة بـ«القومية» أم كانوا شبابًا يريدون استكمال الثورة؟

هذه أسئلة ضمن ـ حرفيًّا ـ ملايين الأسئلة التي يتم طرحها كل يوم في الساحة السياسية المصرية وفي الشارع وفي المواصلات العامة وعلى المقاهي وفي البيوت. ولكن ما أشبه اليوم بالبارحة.

طَوال ١٨ يومًا في يناير وفبراير ٢٠١١ يكاد المشهد الإعلامي يتطابق مع الحاضر. لم يكن الثوار يخوضون معركة دموية شرسة ضد قوات الأمن والبلطجية خلفت ما يزيد على ٨٥٠ شهيدًا فحسب، بل وَجَد الجميع أنفسهم في خضمّ معارك كلامية مع الأهل والأقرباء والجيران حول الأحداث. مَن مِن الثوار لم يدخل في مشادة كلامية في حيّه أو عائلته حول ما يحدث مع مَن لم يحضر بنفسه الاعتصامات واكتفى بمشاهدة قناة «المصرية» أو القناة الأولى أو الثانية أو غيرهما من أبواق النظام؟ في الوقت الذي صبّ فيه ماسبيرو جام غضبه وتحريضه وأكاذيبه على الثورة، لم يكن في يد الثوار غير الصمود في الميادين ومواجهة دعاية النظام بدعاية مضادة.. وهنا يبرز الدور المركزيّ للصحافة الشعبية.

لسنوات انهمك المدوّنون المصريون في تأسيس شبكة واسعة من الصحافيين الشعبيين؛ مواطنين مسلحين بكاميراتهم أو تليفوناتهم المحمولة. كانوا القناة الوحيدة لنقل الصورة الحقيقية للأحداث وكسر الخطوط الحمراء ومواجهة الرقابة المفروضة على وسائل الإعلام التقليدية من تلفزيون وصحف وراديو من قِبَل ليس النظام فقط بل أيضًا من قِبَل بعض الصحف الخاصة، والذين لديهم ما يخسرونه في أي مواجهة حقيقية مع السلطات الرقابية. بالكاميرا والمحمول وثّق المواطنون المصريون والنشطاء انتهاكات الشرطة

لسنوات وعملوا على نشرها على الإنترنت بين دوائر أوسع من الشباب، واستخدموا الفضاء الافتراضي لتبادل الأفكار.

اكتسبت حركة الصحافة الشعبية تأثيرًا أكبر من حجمها الفعلي أيضًا عن طريق الزواج غير الرسمي بينها وبين الصحافة التقليدية في مواقف، فاعتماد الجزيرة والقنوات الفضائية ووكالات الأنباء على «الفيسبوك» والمدونات والمدونات المصغرة مثل «تويتر» كمصادر للأخبار أصبح يعني بأن تغريدة من ١٤٠ حرفًا من مواطن وقت الحدث قد تصل إلى مئات الملايين من المشاهدين والقُراء حول العالم في ثوانٍ.

ولكن الاهتمام الزائد بظاهرة التدوين دفع البعض إلى الاعتقاد الخاطئ بأن ٢٥ من يناير وما تلاها نتاج لـ«ثورة إنترنت» بلا مقدمات، متغافلين الحركة الاجتماعية المتصاعدة منذ إضراب عمال غزل المحلة في ديسمبر ٢٠٠٦ والتي لم تستمر حبيسة المصانع، بل انتشرت لنرى انتفاضة شوارع في إبريل ٢٠٠٨ لم يكن للإنترنت دور فيها على عكس ما يزعم الكثيرون.. ففقراء مدينة المحلة الذين واجهوا قوات الأمن ليومين متتاليين في المحلة لا علاقة لهم بـ«فيسبوك»، ولم يمتلك آلاف العمال الذين حاصروا البرلمان المصري في عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٠ واعتصموا على رصيفه شهورًا حسابات على «تويتر»، ولم يلعب الإنترنت دورًا في تنظيمهم.

لم تكن ثورة يناير حدثًا نشأ من الفضاء الافتراضي فجأة، لم يكن «إيفنت» على «الفيسبوك» حضره الشعب المصري مشكورًا. والاعتقاد بذلك قد يدفعنا أيضًا في المستقبل لاعتماد استراتيجيات

خاطئة ومُحبِطة. فإذا كانت الثورة ممكنة بدعوة على «الفيسبوك» فماذا يمنع النشطاء من الدعوة لثورة أخرى أو استكمال الأولى لنكون أكثر دقة؟ هل نسينا سيل الدعوات للمليونيات التي لم يحضرها سوى بضعة آلاف، أو دعوات الإضراب العام التي لم يُصغِ إليها أحد؟

الثورة المصرية في ٢٠١١ نتاج عقد كامل من المقاومة ضد نظام مبارك، بدأت باندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية في ٢٠٠٠؛ والتي ولَّدت حركة تضامن واسعة في الشارع المصري تحولت سريعًا إلى حركة مناهضة للنظام بوصفه الحليف الأول للصهيونية والإمبريالية الأمريكية بالمنطقة. واكتسبت الحركة زخمًا باحتلال العراق في ٢٠٠٣، حينئذ تظاهر عشرات الآلاف في ميدان التحرير ودارت معارك دامية بينهم وبين الشرطة المصرية في ٢٠ من مارس في مشاهد تكررت لاحقًا في يناير ٢٠١١. ومَن منا ينسى مظاهرات كفاية في ٢٠٠٥ وربيع القاهرة في ٢٠٠٦ إبان انتفاضة القضاة والإضرابات العمالية المستمرة من ٢٠٠٦ إلى يومنا هذا؛ وهي أقوى موجة إضرابات تشهدها البلاد منذ عام ١٩٤٦؟

يحوي هذا الكتاب شهادات زملاء مدونين عن الثمانية عشر يومًا في التحرير؛ عن آلامهم وآمالهم آنذاك، عن معاركهم اليومية في الميدان. كان هؤلاء وآخرون الوسيلةَ الوحيدة لإخراج ما يحدث في الميدان لجمهور أوسع وللقنوات الفضائية التي نقلت الثورة المصرية لملايين حول العالم لتواجه أكاذيب ماسبيرو بالصوت والصورة. كان المدوّنون في صفوف المقاتلين في الميدان، ولكن لنتذكر جميعًا أن الثورة المصرية لا يمكن اختزالها في التحرير، فالثورة شملت معظم

المحافظات، بل ومثّلت بعضُ المحافظات في أيام مثل السويس والإسكندرية قلبَ الثورة المصرية وخطَّ المواجهة الأول مع النظام. أما الضربة القاضية لمبارك فلم تأتِ من الميدان، بل أتت من خارجه؛ من المصانع والشركات والمصالح الحكومية التي أضرب موظفوها وعمالها في الأسبوع الأخير من الثمانية عشر يومًا. لم تنتهِ إضرابات العمال بسقوط مبارك، ولم يرهبها قانون تجريم الاعتصام الذي شرعته حكومة عصام شرف في إبريل. وشهد شهر سبتمبر الماضي وحده دخول ما يزيد على ثلاثة أرباع مليون مصري في إضراب في قطاعات مختلفة مثل التعليم والنقل العام؛ إضرابات تستهدف تحقيق أهم مطالب الثورة: العدالة الاجتماعية، وتطهير المؤسسات من كل «مبارك صغير» داخلها.

لن تُحسم الثورة المصرية في ١٨ يومًا أو ١٨ شهرًا، أمامنا سنوات من المعارك مع النظام، ستشهد انتصارات وهزائم، صعودًا وهبوطًا، كرًّا وفرًّا، وسيبقى أمامنا دائمًا تحدي إعلام الثورة المضادة الزاعق من ماسبيرو، منظومة لن نتحرر منها إلا باستكمال الثورة، وحتى يأتي هذا اليوم ستظل الصحافة الشعبية المرتبطة بالشارع هي الصوت الأكثر أمانة في نقل الحدث.

حسام الحملاوي

صحفي ومدون وناشط

بحركة الاشتراكيين الثوريين

عن المؤلفين

- **أميرة صلاح أحمد**: كاتبة وصحفية مصرية تعيش في القاهرة. نشأت أميرة في الولايات المتحدة الأمريكية ثم انتقلت إلى مصر عام ٢٠٠٠. تشغل حاليا منصب المحررة الاقتصادية في صحيفة «الدايلي نيوز إيجيبت». أميرة تكتب الشعر والقصص القصيرة أيضا. عنوان مدونتها: amiralx.wordpress.com

- **سارة السرجاني**: صحفية، وتعمل حاليا نائب المحرر في جريدة «الدايلي نيوز إيجيبت». تتخصص سارة في الكتابة عن الموضوعات السياسية والاجتماعية، وتكتب باستمرار عن المشهد الثقافي المحلي بالقاهرة ومصر، كما بدأت مؤخرا في كتابة القصص القصيرة. طوال أيام الثورة، كانت سارة تكتب عن أحداثها في عمود يومي في جريدة «كوريبرا ديلا سيرا» الإيطالية، وأدرجتها مجلة «فوربس» بالشرق الأوسط في قائمة أكثر مئة شخصية عربية تواجدا على «تويتر» في ٢٠١١. عنوان مدونتها: sirgoslabyrinth.wordpress.com

- **طارق شلبي**: مدون، واستشاري لمواقع التواصل الاجتماعي،

ومصمم مواقع إلكترونية. شارك في ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ منذ بدايتها، حيث نصب هو وأصدقاؤه خيمة في ميدان التحرير وأطلق عليها اسم «بنسيون الحرية» وظل مقيما بها لأسبوعين حتى تنحى مبارك. كان طارق يدون على مدونته ويغطي أحداث الثورة على «تويتر» بنشاط. عنوان مدونته: tarekshalaby.com

- **محمد الدهشان**: استشاري في سياسات التنمية، ويقدم خبراته للدول والحكومات والمنظمات الدولية. وهو أيضا كاتب ويشارك بشكل مستمر في الصحافة المحلية والعالمية. كان محمد يدون باسم مستعار حتى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ التي شارك فيها من أول يوم. عنوان مدونته:www.travellerwithin.com

- **محمود سالم**: مدون، كاتب، ناشط، ثوري، عنده ماجستيران حقيقيان ودكتوراه فخرية، مرشح مجلس شعب سابق وماكسبش، مشهور من غير سبب، إنسان متعب جدا. آه.. وبيعمل حاجات تنموية وبيحب أي حاجة عليها جبنة. عنوان مدونته: www.sandmonkey.org

- **نادية العوضي**: تعمل صحفية علمية ولكنها تعشق المغامرات وتستمتع بإسقاط أي حاكم ديكتاتوري عندما يتطلب الأمر تدَخلها، وهي أم لأربعة أطفال رائعين. بدأت نادية تغرد على «تويتر» منذ عام ٢٠٠٩ عن حياتها الشخصية والقضايا السياسية والدينية والاجتماعية بمصر، ثم عن الثورة المصرية في ٢٠١١. وتكتب أيضا في مدونتها عن هذه الموضوعات بالإضافة إلى التدوين عن رحلاتها ومغامراتها. هي حاليا مغرمة بالغطس وتسلق الجبال. عنوان مدونتها: nadiaelawady.wordpress.com

الثلاثاء ٢٥ من يناير
نادية العوضي

يوم الغضب - البداية

في الخامس والعشرين من يناير استجاب آلاف المصريين بالقاهرة لدعوة الاحتجاج ضد نظام مبارك. كان اليوم هو عيد الشرطة؛ وهو إجازة رسمية. بدأت المسيرات ظهرًا في أجزاء مختلفة من القاهرة، وبحلول فترة ما بعد الظهيرة بدأتْ في الاندماج مع بعضها البعض. استمرت المسيرات أثناء العصر في منطقة وسط البلد بالقاهرة مع وجود حواجز وضعتها الشرطة لتفريق المحتجين، ولكن المحتجين استمروا على الرغم من ذلك في الزحف عبر وسط البلد حتى وصلت معظم المجموعات في النهاية إلى ميدان التحرير.

تركت منزل أبي مع صديقتي؛ أروى صلاح، يوم الثلاثاء ٢٥ من يناير. كنا نسخر من مجموعة من صديقاتنا كُنَّ يأخذن احتجاجات ٢٥ من يناير المقترحة على محمل الجد أكثر مما يجب - أو هكذا شعرنا. كانت أولئك الصديقات قد أنشأن صفحة للفتيات فقط على «الفيسبوك» قبل بضعة أيام لإسداء النصيحة لبعضهن البعض حول

كيفية التصرف أثناء المظاهرة: ماذا تحضرين معكِ، ماذا ترتدين، كيف تحمين نفسكِ إذا ما تمت مهاجمتك. قضينا أنا وأروى ساعتين على الأقل في «تقطيع فروة» صديقاتنا والسخرية من مدى الجدية التي كُنَّ يتعاملن بها مع الأمر. مازحتني أروى: «فاكرين إنهم هايغيروا الكون في مصر!»، فضحكت أنا بدوري، ثم أخبرتها بلهجة استعلائية: «دول عمرهم ما نزلوا مظاهرة في مصر قبل كده، ومش فاهمين المواضيع دي ماشية إزاي»، قلت ذلك بصفتي قد شاركت ـ وقُدت في بعض الأحيان ـ في مظاهرات عدة أثناء سنوات دراستي الجامعية. قررت أنا وأروى قبل المظاهرات بيومين أن ننفصل عن المجموعة الكبرى؛ لم أكن أنا ولا هي على استعداد للتعامل مع فتيات صغيرات يفتقدن للخبرة ويشعرن بالحماسة الزائدة.

قبل صلاة الظهر مباشرة، جلست أنا وأروى في مطعم «مؤمن» للسندويتشات، ثم انضم إلينا عادل عبد الغفار؛ وهو مغامر مصري كان قد تسلق جبل كليمينجارو مع أروى منذ بضعة أشهر. كنت قد سمعت الكثيرَ عنه، ولكنها كانت مقابلتنا الأولى، ونشأ بيننا رباط أخوي فورًا. تحدثنا.. تبادلنا الضحكات، وبدا وكأنه لا شيء يحدث في شبرا. كنا نتوقع أن تكون شبرا هي مسرح الأحداث الرئيسي ـ لو كانت هناك أحداث أصلًا. كان تعبير الأقباط عن غضبهم واضحًا على مدار الأسابيع الثلاثة الماضية منذ تفجير كنيسة القديسَيْن في الإسكندرية ووقف بناء كنيسة أخرى في الجيزة. أردنا أن نكون موجودين بمسرح الأحداث وأن ندعم إخوتنا المسيحيين. كانت الشرطة وعرباتها في كل مكان، ولكن لم يكن ثمة أثر للمتظاهرين. تلقى عادل مكالمة من صديق يخبره أن يذهب للتحرير، فالأحداث كلها تدور هناك.

رن هاتفي بعد الظهر بقليل. كنت أسير مع أروى أثناء الساعتين الماضيتين في قلب أكبر وأروع المظاهرات التي شاركنا فيها في حياتنا. كانت كلتانا في أقصى حالات الذهول والإثارة. أخبرني أحمد مصطفى - أحد رفاقي في رياضة الغطس - أن الشرطة قد أخذته مع مجموعة الفتيات التي كنت أنا وأروى نسخر منها. كانت أختي بينهن، وكُنَّ قد تقابلن في كافيه «سيلانترو». كان جزء من سخريتنا منهن يتمحور حول «جروب الستات الشيك» اللاتي يبدأن مظاهرتهن في مقهى راقٍ مثل سيلانترو. ويبدو أن بعضًا منهن قد أخرجن لافتات كرتونية كبيرة وأخذن في كتابة شعارات معادية للحكومة. حاصرهن جميعًا رجال الشرطة ووضعوهن في عربة شرطة ثم ألقوا بهن في أحد أحياء القاهرة الأخرى التي تبعد العديد من الكيلومترات؛ حيث لم يكن من المتوقع أن تحدث مظاهرات. قال الإعلام الحكومي: «الشرطة تلقي القبض على عضوات من الإخوان المسلمين في سيلانترو». لم تكن لأي عضوة من المجموعة أي صلة بالإخوان المسلمين لا من قريب ولا من بعيد.

وقف عدد صغير من المتظاهرين أمام مبنى جامعة الدول العربية وكوبري قصر النيل، ولم تمنعهم الشرطة من التحرك بحُرية، تسجل ذاكرتي للمرة الأولى مشهد عبور المتظاهرين لكوبري قصر النيل من الزمالك إلى التحرير. أقف في مواجهة المتظاهرين الذين يتقدمون في مسيرتهم بينما أصورهم بكاميرا الفيديو خاصتي. أحمد رجب - أحد أصدقائي الصحفيين؛ والذي كان قد شاركني في مظاهرة سابقة أصغر بكثير منذ بضعة أشهر - يمر ويراني، فيلوِّح لي تلويحة صغيرة مصحوبة بابتسامة على وجهه ولمعة في عينيه، ثم يتقدم بينما ذراعاه مشبوكتان في ذراعَيْ متظاهرين آخرين والجميع يهتفون بشيء ما.

في الساعة الخامسة إلا عشر دقائق، أطلقت الشرطة أولى قنابل الغاز المسيل للدموع على الجموع لتفريق المتظاهرين، ثم تكرر الأمر عدة مرات. تحول التحرير إلى ساحة معركة. تسللت بمحاذاة جدران المجمع حتى وصلت إلى الصفوف الأمامية بين المتظاهرين والشرطة. كان سيل الحجارة متبادلًا بين الطرفين. هتف العديد من المتظاهرين: «سلمية! سلمية! بلاش طوب.. بلاش طوب». ظهر مدفع مائي موجّه نحو المتظاهرين، وأغرق المنطقة بأكملها. جرى المتظاهرون ومن ورائهم قوات الشرطة نحوي في اتجاه التحرير، وأخبرني أفراد منهم أنه يستحسن أن أتحرك إلى داخل الميدان حيث الأمور أكثر أمانًا، ولكنني لم أتزحزح. لم تكد بضع دقائق تمر حتى يرجع المتظاهرون مرة أخرى، ولكن تلك المرة كانوا هم من يجرون خلف قوات الشرطة، ويمرون بي في الاتجاه المعاكس! بعدها بقليل، لمحت متظاهرًا يقف فوق عربة المطافئ الواقفة في مدخل الميدان من القصر العيني، ملوحًا بعلم مصر في انتصار. التف المتظاهرون حول العربة وهللوا، فيما انضم خمسة متظاهرين آخرين إلى الأول فوق ظهر العربة وانطلقوا في الرقص والغناء. بدا المتظاهرون سكارى بنشوة هذا النصر الصغير، ولكن لم تلبث قوات الشرطة أن هجمت مرة أخرى، فجرينا جميعًا بحثًا عن ساتر.

تلك الليلة تركت المتظاهرين في الميدان وهم يرددون النشيد الوطني في أجواء أقل عنفًا. في نهاية الأمر تفرق المتظاهرون وذهب كلٌّ إلى منزله.

الثلاثاء ٢٥ من يناير

أميرة صلاح أحمد

«عيد» الشرطة

اليوم عطلة؛ إجازة رسمية في مصر للاحتفال بعيد الشرطة، رغم أن الغالبية تعرف أنه ليس هناك ما يدعو للاحتفال. فقوات «الأمن» في المجتمع المصري هي من أكثر الرموز استفزازًا؛ تزداد كراهيتنا لها لأساليبها الوحشية، والاعتقالات التعسفية، والاعتقاد السائد لدى معظم أفرادها بالتفوق الفطري على سائر الخلق، وبالتالي الحصانة ضد أي شيء وأي شخص؛ ما لم تكن، بالطبع، سليلَ إحدى الشخصيات المرموقة. هنا فقط، تتمتع أنت أيضًا بحصانة التفوق على الآخرين.

الجميع في إجازة ـ فيما عدانا بالطبع. لدينا جريدة لنُصدِرها. أيام العطلات عادة تمر ببطء شنيع. أقضي الوقت وأنا أعيد النظر في وظيفتي وأهميتها، والقيود المفروضة عليها، والقفز المستمر عبر الثغرات، والضغوط التي نواجهها لتغطية كافة إخفاقات الحكومة وانتهاكات حقوق الإنسان مع الالتزام بالموضوعية التامة. الأمر

أشبه بإعصار ذهني خاصة مع كل تلك الأدلة الصارخة على الفساد واستمرار المتحدثين باسم الحكومة في الإعلان عن برامجهم الإصلاحية من أجل الحرية والمساواة ـ برامج لا ترى النور أبدًا.

أتساءل عن مدى فعالية تغطيتنا للأحداث، وكيف يمكن أن تؤثر على الناس برواية الحقيقة ـ الوجه «الآخر» أو الرواية الحقيقية التي تتجاهلها ـ أو تحرفها ـ وسائل الإعلام التي يعتمد عليها غالبية الشعب كمصدر رئيسي للمعلومات. نصحح المفاهيم الخاطئة، ونحن ندرك تمامًا أن من يقرءون الصحف الصادرة بالإنجليزية هم على دراية كافية بالفعل. نتبادل الدعابات في المكتب ونمزح مع زملائنا الصحفيين: «تفتكروا إيه اللي حيحصل لو مبارك مات؟ طيب لو مات النهاردة؟ حتبوظ الإجازة طبعًا وحنقضي الليل هنا عشان نتابع الخبر. افرض جمال ابنه قرر فجأة إنه يحتل العرش بدل ما يضيع وقته لحد الانتخابات المزورة اللي جاية؟».

ولكن ليس اليوم. أقل ما يقال عن اليوم إنه كان مختلفًا، وأصبح عيد الشرطة لعام ٢٠١١ هو عيد الشعب.

انطلقت الدعوة لاستغلال يوم الإجازة في تعبئة الشعب والنزول إلى الشارع للتظاهر من أجل العِيش والحرية والعدالة الاجتماعية ـ وهي أبسط الحقوق الإنسانية ـ فحشدت تأييد بضعة آلاف. فيما يتعلق بالأخبار، كنا نستعد لهذا اليوم؛ كنا نعمل عليها منذ فترة خاصةً بعد نجاح الثورة التونسية. كان هناك بارقة أمل في أن تتحرك جماهير الشعب وتنزل للمشاركة الفعلية في الحدث الذي سجلوا أسماءهم لحضوره على «الفيسبوك»: ثورة شعب مصر.

كانت هناك تكهنات كثيرة بين الصحفيين، ونوع من التهكم على تنظيم حدث يدعو لثورة شعبية في دولة عادة لا تحترم المواعيد، مع تحديد موعد لبدء الحدث وانتهائه، كما لو كانت حفلة موسيقية أو عيد ميلاد. ولكن روح الثورة كانت موجودة بالفعل يغذيها الإحباط المتزايد. وكلما اقترب اليوم الموعود، بدا المزاح ثقيلًا إلى حد ما.

قبل هذا الصباح، كنت أخشى أن تنتهي المظاهرات بنفس مجموعة الناشطين الشجعان ويزيد عليهم مجموعة من الصحفيين الدءوبين وسط قوات الأمن المركزي التي تفوق المجموعتين عددًا ـ كلهم محشورون في أحد الميادين وسط حالة من الغليان تستمر ساعات لتنتهي إلى حالة من الفوضى العارمة بين الهراوات الباطشة، والإصابات الدامية والاعتقالات العشوائية. كنت أخشى على أصدقائي الناشطين هناك وهم يهتفون من قلوبهم، وأصدقائي الصحفيين ومراسلينا الذين يقومون بتغطية الحدث، بينما ننتظر نحن ـ المحررين ـ في المكتب (متمنين أن نكون فى الشارع) حتى يصلنا أي خبر لننشره عبر «تويتر» و«الفيسبوك» وموقعنا على الإنترنت. كنت أخشى أن ننتظر لآخر وقت ممكن قبل إرسال الجريدة للمطبعة، فقط لنصحو صباح اليوم التالي على الصوت المدوي لبقاء الوضع الراهن كما هو. ففي النهاية، حالة الاستقرار المزيفة هي ما يروجه مبارك في الأساس لنجاحه.

دعوني أعود ليوم ٢٣ من يناير. قابلت بعض الأصدقاء على العشاء في مطعم بوسط البلد. رأيت مدرعات الأمن المركزي تنتشر في كل مكان وتساءلت إن كانت الاستعدادات قد بدأت مبكرًا. لم يحدث

أي شيء في تلك الليلة، ولكن عناصر الأمن كانت متحفزة لتدمير أي شيء وأي شخص يبدي أي محاولة للتظاهر، وأنا لم أملك إلا الاعتقاد بأن كل هذه الضجة مجرد زوبعة في فنجان، وأنها لن تكون قوية بما يكفي لمواجهة عشرات الآلاف من قوات الأمن المركزي المستعدين للهجوم بمجرد تلقي الأوامر.

أوقفت سيارتي في المكان المعتاد بالقرب من ميدان طلعت حرب بمساعدة السائس. سألته عن سبب تلك الضجة في محاولة لقياس مدى معرفة الناس بالحدث الذي دعوا له فهوَّن من الموضوع تمامًا: « بيقولوا شوية عيال عايزين يعملوا مظاهرة يوم التلات، فالناس كلها قاعدة مستنية وعربيات الأمن مرشّقة هنا من دلوقتي. ما تقلقيش. شوية عيال مش حيعملوا حاجة». كانت ليلة ممتعة، تحدثنا قليلًا عن حدث «الثورة» المرتقب، ثم انتقلنا لأحاديث أقل جدية عن الأفلام والموسيقى، وضحكنا حتى نسينا الموضوع كله. أمسية عادية تمامًا.

في ٢٤ من يناير، كان من المفترض أن أذهب لكتابة تقرير عن أحد المطاعم الجديدة مع داليا؛ صديقتي وزميلتي في العمل. كان يومًا طويلًا في المكتب. بقينا حتى وقت متأخر، وعندما نزلنا إلى الشارع كانت حركة المرور شبه متوقفة داخل المهندسين وحولها. لم يكن من الممكن أبدًا الوصول للمطعم في الوقت المناسب. وراودني هذا الشعور المزعج أنه لو نُشر التقرير في نهاية الأسبوع لن يهتم أحد. تناولنا عشاء سريعًا في مكان قريب من المكتب، وانتظرنا أن يخف الزحام حتى نتمكن من العودة للبيت. لم يكن أمامنا ما نفعله سوى الدردشة عن توقعاتنا لليوم التالي، وكيف سينتهي اليوم. برغم

مخاوفي من شكل الأيام القادمة، كان هناك الكثير من الترقب والقليل من الأمل أن يكون الحدث ضخمًا. ساعتها، فكرت أنها مجرد أمنيات، وأثناء حديثنا قلت وأنا شبه جادة: «طيب لو الموضوع طلع بجد، ممكن نبقى زي تونس؟ لو دي فعلًا ثورة متهيأ لي هتبقى أعنف من كده. ولّا تفتكري دي أحسن طريقة عشان نبتديها؟ الوضع ممكن يتغير بجد؟ طيب لو كانت دي آخر ليلة عادية؟!».

بعد ذلك.. جاء يوم الغضب.

صباح يوم ٢٥ من يناير، ذهبت إلى المكتب مبكرًا جدًّا والشوارع خالية تمامًا. كانت الرسائل الإلكترونية تتوالى عن أماكن التجمعات في المحافظات المختلفة، وأرقام هواتف الناشطين الذين سيقودون المسيرات في هذه المناطق، وأرقام محامي حقوق الإنسان، وكل من يمكن الاتصال به لطلب المساعدة. كان الصباح هادئًا، ولكن وقت الظهر بدأت الأمور تتطور بسرعة مذهلة، واكتسبت الأعداد زخمًا غير متوقع وغير مسبوق. تدفق البشر كالطوفان على الشوارع أكثر من أي وقت مضى. كانوا يتجمعون في أعداد صغيرة في مناطق رئيسية بمختلف المحافظات، ثم يسيرون نحو أماكن التظاهر المتفق عليها. على طول الطريق، كانت الأعداد تتضخم مع انضمام المزيد الذين شجعهم منظر الناس وهم يسيرون بشجاعة وتحدٍّ. وجاءت صور مراسلينا رائعة بشكل مدهش، ومخيفة، وتاريخية في الوقت نفسه.

مرت إحدى المسيرات بالقرب من مكتبنا؛ تجمعتْ أولًا في ميدان مصطفى محمود لتتجه إلى التحرير مارةً في طريقها بكوبري قصر النيل حتى وصلت إلى الميدان. أتلهف على الانضمام لهم؛ كلنا في

الواقع. بعد نقاش ساخن، تقرر ضرورة بقاء المحررين بالمكتب؛ لأننا لا نعرف ماذا سيحدث إذا غادرنا، قد يُلقى القبض علينا، أو نُصاب أو ننجرف مع روعة اللحظة حتى نتحول من صحفيين.. لناشطين.. لمعتقَلين. في نهاية الأمر، المراسلون في الشوارع يعملون على تغطية الأحداث، ومهمتنا تلقّي الأخبار وتحريرها ونشرها بموضوعية.

كانت واحدةً من أكثر اللحظات إحباطًا التي موّعت فرحة الحدث إلى حد ما - أن أضطر للجلوس على مكتبي لأراقب ثورتنا عن بُعد دون أن أراها بنفسي. جاءتني رسائل كثيرة من أصدقائي الذين لم يشاركوا في أية مظاهرة من قبل؛ لا ضد وحشية الشرطة، أو ضد الانتخابات المزورة، أو حتى من أجل خالد سعيد. لا بد أنها معجزة تلك التي دفعت كل هؤلاء للنزول غير مُبالين بما يمكن أن يحدث لهم، مُستمدين الثقة والقوة من أعدادهم الهائلة.

ظللت أنتظر بدء حملة التطهير، مشهد الدم، والتويتات عن الاعتقالات والإصابات - وبالفعل حدث كل هذا في النهاية. ولكن ليس قبل أن يخترق المتظاهرون صفوف قوات الأمن المركزي والحواجز التي وضعوها حتى تمكنوا من الوصول إلى ميدان التحرير بالآلاف وسط الغاز المسيل للدموع وبطش الهراوات. حدث ذلك في جميع أنحاء الجمهورية على نطاق واسع. كان الوقت ليلًا عندما تمكّنا أخيرًا من الخروج من المكتب، وكان عنوان الخبر الرئيسي لدينا: تظاهر الآلاف في أنحاء مصر في «يوم الغضب».

وبالطبع لم يكن هناك سوى مكان واحد نتوجه إليه.. التحرير.

كنا سبعة. ركبنا سيارتين تاكسي وذهبنا إلى هناك. كانت الشوارع

هادئة وخالية بشكل مخيف حتى اقتربنا من وسط البلد. نزلنا في الزمالك ومشينا حتى نهاية كوبري قصر النيل، وقد تم إغلاقه بالفعل بالمتاريس. صادفنا مجموعة من الأصدقاء الذين كانوا هناك طَوال اليوم؛ أحدهم مضروب على رأسه وبالكاد يرانا بفعل الغاز المسيل للدموع، والآخر مصاب بجروح في رأسه، والاثنان يمشيان ببطء في الاتجاه المعاكس في طريقهم إلى المستشفى.

كنت خائفة. ولم تسمح لنا قوات الأمن بالمرور قائلين: «ارجعوا بيوتكم». رجعنا وسرنا بجانب المتحف المصري. عندما وصلنا التحرير، المنظر لم يكن له مثيل. كانت الآلاف قد احتلت الميدان دون أدنى بادرة تُظهر نيتهم على الرحيل. كلما اقتربنا من قلب الميدان ساء استقبال هواتفنا المحمولة قبل أن تموت تمامًا. لا نعرف تحديدًا إن كانت شبكات المحمول قطعت الخدمة عمدًا في تلك المنطقة أم أن الاتصالات انقطعت نظرًا للعدد غير المسبوق من المستخدمين الذين يتمركزون في هذا المكان والذين يحاولون الاتصال واستخدام الإنترنت.

تجولنا في المكان، وتحدثنا إلى مجموعات مختلفة من الناس. رأينا أيمن نور محاطًا بأضواء كاميرات التصوير، وأسامة الغزالي حرب يتمشى بهدوء حول الميدان، والناس من شتى مناحي الحياة والتوجهات السياسية والدينية ـ كلهم يهتفون. ومع ذلك، كنت خائفة في البداية؛ لم ألتحم مع هذا الكم من البشر من قبل. شعرت بأني محاصرة وأنا أرى مدرعات الأمن المركزي وقوات مكافحة الشغب تطوق الميدان. لم أصدق أنهم يقفون بجانبنا دون اتخاذ أي إجراء ضدنا، وكنت أحس أن تراخيهم هذا لن يدوم طويلًا، وأن الأمور لن تنتهي على خير. أحسست

أنهم يتركوننا لنُنفّس عن غضبنا، وأنا على يقين أنهم لن يسمحوا بإغلاق الطرق الحيوية في قلب القاهرة لفترة طويلة. كنت أعتقد أنهم سيُفرقون هذا الحشد بحلول منتصف الليل.

أثناء ذلك، حاولت أن أشارك معهم، ولكن في الحقيقة لم أستطع حمل نفسي على الهتاف مع تلك الآلاف، وكرهت شعوري بالخوف وسط كل هؤلاء الشجعان الذين ظلوا هنا لساعات. كان الدكتاتور يعشش داخل رأسي، فكرة مسيطرة عليَّ أنام معها كل ليلة وأصحو كل صباح. أدركت للمرة الأولى كم كنت مضطهدة، كيف تركت نفسي أتحول لهذا الإنسان الآلي! حاولت أن أهتف بضع مرات، ولكني وجدت أن الأسهل أن أكون هناك في الميدان لأكتب شهادتي عن هذا اليوم؛ أوثقه، وألتقط الصور، وأُخلد ذكرى تلك اللحظة التي أعتقد أنها لن تتكرر.

الناس تتدفق داخل الميدان وخارجه. يعلو الصراخ أحيانًا فيتفرق الناس من الخوف، ولكن سرعان ما تتبدد الإشاعات ليبدأ الهتاف من جديد. تركنا المكان بعد بضع ساعات ونحن نحس بالحماس والأمل والقلق على من بقوا هناك. عند وصولي للبيت، كانت أبواب الجحيم قد انفتحت عن آخرها؛ فرقت قوات الأمن المتظاهرين باستخدام القوة والعنف، والغاز المسيل للدموع وطلقات الرصاص. كانوا يطاردونهم في شوارع وسط البلد؛ تعرضوا للضرب والاعتقال، ورغم المحاولات المستميتة لإنهاكهم، كان إحساس التحدي يتضاعف كل ثانية.

الثلاثاء ٢٥ من يناير
طارق شلبي

الشعب يريد إسقاط النظام

قبل عيد الشرطة (٢٥ من يناير) بأيام ـ والذي صار إجازة رسمية منذ العام الماضي وإن كانت غير مرحب بها ـ تحدث الناس عن مظاهرات ضد الشرطة، وتكبدوا عناء شرح أسبابها (وكأننا لا نعرفها!). وكعادتي دائمًا، خططت للمشاركة في المظاهرات ولكنني لم أتفاءل كثيرًا، هذا بالإضافة إلى وجود عمل كثير كان ينتظرني في هذا اليوم. في يوم ٢٥ من يناير، اعتقدت أنني سأشارك في المظاهرات وأقوم بواجباتي كمواطن مصري أصيل لمدة لا تزيد على الساعة بأي حال.

وصل صديقي علي عزمي إلى المكتب ودفعتني حماسته لإنهاء اجتماعي مع مصمم المواقع على عجل (تاركًا إياه في حالة من الارتباك) والنزول إلى الشارع. تبين أن تطبيق «بامبوزر» (Bambuser) ـ وهو تطبيقي المفضل لمتابعة الفيديوهات المباشرة على هاتفي الذي يعمل بنظام «آندرويد» ـ قد تم حجبه. لم أستطع

تحمل فكرة عدم الدخول إلى موقع أو خدمة لمجرد أنه لا يعجب الحكومة، فهذا يفوق قدرتي على الفهم. ولضيق الوقت، قمت بتحميل تطبيق «كيك» (Qik) كبديل. توجهت مع علي إلى شارع إيران ومنه للدقي، ووصلنا في الوقت المناسب لنندمج مع الحشد القادم من جامع مصطفى محمود.

لن أنسى صدمتي عندما رأيت آلاف المتظاهرين المتجهين نحونا؛ كان العدد يفوق أكبر طموحاتي، وعندها فقط شعرت بأننا نشارك في حدث جلل. أرسلت بعض الرسائل على موقع «تويتر» وتمكنت من التقاط بعض الصور لتعبر عن مدى ضخامة المظاهرة ومدى حضورها في الشارع. ازداد عددنا أكثر باقترابنا من ميدان الجلاء.

تخطينا الحاجز الأول الذي يقطع كوبري الجلاء، وبدأت قنابل الغاز في الظهور عند منطقة قصر النيل. كان ميدان التحرير ساحة قتال في تلك الليلة؛ ولهذا حاولت أن أبقى مع أصدقائي قدر الإمكان. قمت بدوري كمواطن صحفي وأذعت عدة فيديوهات حية على الإنترنت - منها واحد أذاعته قناة الـ«سي إن إن» بعدها.

في حوالي الساعة الرابعة أو الخامسة عصرًا لم يعد إجراء المكالمات ممكنًا، ولا تحميل الصور أو الفيديو، وحتى مجرد الكتابة على موقع «تويتر» أصبحت محض خيال. ظللت وقتًا طويلًا مع صديقي حازم ذهني وأختي نورا. كان أفضل ما في اليوم هو مطاردة الأمن المركزي في شارع القصر العيني حتى تراجعوا، وأسوأ ما فيه هو الهروب منهم (حاجة مش لطيفة خالص على فكرة!).

في هذا اليوم، سمعت لأول مرة الهتاف القوي المؤثر الذي يقول

«الشعب يريد إسقاط النظام»، كما التقيت بعشرات من الأصدقاء والزملاء في ميدان التحرير.. وهذا أنعشني جدًّا. هدأ الجو لعدة ساعات، فتركت الميدان في الثامنة والنصف مساءً عائدًا إلى عملي.

بائع الساندويتشات في شارع شهاب

في صباح الخامس والعشرين من يناير ذهبت مع نورا لاستكشاف منطقة مصطفى محمود لنأخذ فكرة عن الاستعدادات الأمنية يومها، وفي طريقنا لشارع جامعة الدول توقفنا لبرهة عند رجل يبيع ساندويتشات جبنة وبيض على دراجته. تحدثنا معه قليلًا وأخبرناه أننا سننضم للمظاهرات لاحقًا، فكان جوابه ينم عن لامبالاة سياسية وعدم اهتمام بالأمر عمومًا. ماذا تتوقع من شخص مطحون مثله يجاهد في سبيل لقمة العيش؟

في إحدى مرات هروبنا من الأمن المركزي، ظهر لنا بائع الساندويتشات من العدم! في جو مشحون مثل هذا لم تكن هناك فرصة للدخول في نقاش ـ نرغب فيه جدًّا ـ معه، ولكن هذه اللحظة كانت لحظة سعادة صافية شعرت بحلاوتها أنا وأختي، وبغض النظر عن الأسباب التي دفعته للمشاركة، شعرنا بالفخر والشرف (والمفاجأة أيضًا) لكوننا شهدنا قصة تحوله تلك.

الأفضل سيأتي بعد

بالرغم من أن هذه التجربة كانت قاسية، خاصة بعد أن استنشقت كميات لا بأس بها من الغاز المسيل للدموع للمرة الأولى في حياتي،

إلا أنني رأيت هذا كعلامة على أن الأفضل سيأتي بعد ذلك، وفكرت في المشاركة في تصعيد المظاهرات يوم الجمعة من اللحظة التي عُدت فيها إلى المكتب.

بعدها بيومين أرسلتْ لي صديقتي هبة الشريف صورة سينمائية التقطتها لي في ٢٥ من يناير. كان هذا اليوم هو بداية الثورة.. اليوم الذي نزل فيه شباب مصر لمحاربة نظام مبارك الفاسد.. يوم ٢٥ من يناير الذي شهدتْ فيه مصر والعالم العربي بل والعالم أجمع بدء تغيير جذري.. كنت محظوظًا جدًّا لأنني شاركت في هذا، ولسوف أتذكر هذا اليوم بصفته ميلادًا للثورة التي منحت الحياة لمصر.

الثلاثاء ٢٥ من يناير
محمد الدهشان

صوت الحرية

طلبت من سائق التاكسي أن يأخذني إلى ميدان التحرير – لم أكن متجهًا للميدان نفسه، لكني كنت واثقًا أن مسرح الأحداث الرئيسي سوف يكون في وسط البلد. الأماكن التي تم الإعلان عنها على وثيقة جوجل التشاركية إياها على الإنترنت كانت وهمية ـ كنا نعرف ذلك ونأمل أن تنطلي الخدعة على «حبايبنا بتوع الأمن»، فكان لا بد من البقاء على اتصال بعدد محدود من الأصدقاء والمعارف الرئيسيين حتى أتمكن من معرفة موعد وأماكن التجمع الفعلية ـ وأن أراقب «تويتر»، بالطبع.

ينظر لي السائق بشيء من القلق، ويغمغم أنه قد يضطر إلى أن ينزلني عند الكوبري، فأمشي إلى الميدان بدلًا من أن يأخذ هو مَنزَل التحرير إذا ما كانت هناك أية أحداث في الميدان. إيه الجبن ده! ولكنني بالرغم من ذلك أحاول الرد بإيجابية: «ما تقلقش، أنا مش عايز أعمل لك مشاكل. من عينيا! أنزل على الكوبري، مفيش مشكلة».

يتحرج الرجل قليلًا. يخبرني أنه سوف يوصلني أينما أردت، ونتبادل بعض الكلمات المعسولة واللزجة. نصمت لما تبقى من الطريق إذ انشغلت بمتابعة الرسائل التي كانت تصلني بسرعة وتتابع مُخيفَيْن على هاتفي المحمول.

قبل أن نصل لميدان التحرير بقليل، أطلب من السائق أن يأخذني إلى المهندسين بدلًا من التحرير. يتحرج السائق الهمام متنحنحًا مرة أخرى فأضيف بسرعة: «لكن لو مش عايز توصلني مافيش مشكلة، أنا ممكن أروح، نزلني على جنب في أي حتة وأنا هاخد تاكسي تاني، حقك محفوظ وزيادة». يأخذني إلى المهندسين صامتًا، فليست سوى بضعة أمتار تفصلها عن ميدان التحرير في هذا الصباح الهادئ. إنه يوم عطلة: الخامس والعشرين من يناير؛ عيد الشرطة؛ ذكرى من زمان، قالوا عنه إن الشرطة كانت يومًا إلى جانب الشعب، لا ضده في صف الحاكم. إنها أساطير الأولين.

نصل إلى حي المهندسين في الجيزة، وإذ نقترب من شارع جامعة الدول العربية، نرى تجمُّع الناس من بعيد.

أبتسِم.. هؤلاء هم أهلي.

«نزّلني هنا يا ريس، وخد يمين في يمين تلاقي نفسك رجعت ناحية مطلع أكتوبر، وكمل في طريقك عشان ما تخشش في الزحمة دي».

فاجأني رده: «حضرتك رايح المظاهرة؟ ما شاء الله! ربنا يبارك فيك! والله مانا واخد منك فلوس بقى، ده كفاية اللي أنت بتعمله عشان البلد!».

كلام لطيف ولم أكن على استعداد أن أختبر صدق عرضه هذا!

لكني سعدت للغاية بالمشاعر التي عبَّر عنها على أي حال. أُصر أن أدفع، وأخبره أنه إذا كان يشجع المظاهرة، فعليه أن ينضم لها.

«أيوة، بس العربية عليها أقساط، والعيال... ».

جال ببالي للحظة أن أرد بما معناه أن الآلاف التي يراها أمامه عليها أقساط ولديها عيال ثم عدلت. دعوت له بالتوفيق وتركته يكمل طريقه. دخل في الشارع الجانبي الذي وصفته له، واتجهت أنا نحو الجمع.

لا أصدق عينيَّ. لم أر أبدًا مظاهرة بهذه الضخامة في القاهرة! وقفت عند تقاطع شارعَي البطل أحمد عبد العزيز وجامعة الدول، وكان الحشد على مرمى البصر، لم أكن أرى سوى جزء يسير من المظاهرة ولم تدرك عيناي آخرها. وقفت على الجزيرة في وسط شارع البطل أحمد عبد العزيز وكنت لأتسلق العامود لو كانت الصحة تسعفني (ولم تكن لتسعفني إن حاولت!)، وتركت طوفان الناس يمر بي بينما استمررت في التحديق باحثًا عن نهاية هذه الكتلة البشرية التي تبدو بلا حدود. نساء ورجال وأطفال ولافتات وأعلام لا نراها إلا كل سنتين في نهائي كأس إفريقيا. ناس تهتف، وناس تدردش، وناس تضحك، وناس تشاهد ذلك كله مشدوهة؛ مثلي.

أخيرًا وصلتُ إلى نهاية المظاهرة ـ أو بالأحرى أدركتني نهاية المظاهرة، فاستدرت عائدًا إلى قلبها.

«يسقط يسقط حسني مبارك!».

هتاف غاضب، هتفناه فرحين. أعرف أن كلامي هذا غير منطقي،

لكنه والله كان أسعد هتاف غاضب في التاريخ. هتاف يحرر شيئًا ما بداخلنا. لسنوات كانت الهتافات بسقوط مبارك غالبًا ملحقة بالمظاهرات المنددة باحتلال العراق أو العدوان على فلسطين أو غيرهما. لكن الأمر اختلف اليوم. مظاهرة خرجت أصلًا للاحتجاج على وحشية الشرطة ـ وهل من مناسبة أفضل لذلك من عيدهم؟ ـ ولكن الهتاف التالي كان يخرج من القلب فنهتف به ونُغنيه. تنظر إلى وجوه الناس فترى تَتابع المشاعر: التردد في البداية ـ لم نتعود على مثل هذه الجرأة! أنهتف حقًّا ضد الفرعون؟ ينظرون إلى أعلى كأنهم يبحثون عن تلك الكاميرات الخفية التي دأب المصريون على ترصدها، ثم يبدأ إحساس بالأمان يتسرب إلى الناس منقولًا من المحيطين بهم، فتعلو الأصوات، وتتوقف الأيادي عن الارتعاش وتبدأ النبرة في الارتفاع: بتردد في البداية، ثم بثقة أكبر، حتى ترج الحوائط. ترج الشارع إن كان هذا ممكنًا. يمكن أن تسميه: تمكين الناس، أو النزعة الثورية.

أنا أسميه.. صوت الحرية.

ألمحُ مصطفى؛ وهو أحد معارفي، وصديقًا له. تنفست الصعداء عندما رأيت وجهًا مألوفًا. فأكثر ما يقلقني في المظاهرات ليس أن تضربني قوات الشرطة أو تقبض عليَّ ـ ولكن ألَّا يعلم أحد بذلك. معظم معارفي على الإنترنت ـ وهم رفاق التظاهر في الفترة الماضية ـ لا يعرفون سوى اسمي المستعار. كما أنني أعيش وحدي؛ لذا فلن يشعر بغيابي أحد.

أسير مع مصطفى وصديقه جزءًا من الطريق، ولكنهما يضيعان

مني في الزحام. أعرف أنهما «هناك ناحية الشمال كده» ولكن هذه ليست إحداثيات دقيقة لمعرفة مكانهما.

بينما نقترب من كوبري ٦ أكتوبر، أرى الجنودَ وقد أخذوا مواقعهم على مدخل ومخرج الكوبري. هؤلاء الجنود الملاعين، بزيّهم الشتويّ الأسود، وبعصيهم الأكثر صلابة من عزيمتهم في مواجهتنا: تروس غبية في آلة الدولة. يصيح صائح من الحشد: «ما تطلعوش الكوبري! هايحاصرونا!». صح. اتبعنا نصيحة الصوت الحكيم.

مشينا من تحت الكوبري. ظل الجنود يحملقون فينا من فوق، غير مصدقين ـ هل سبق ورأيت ٥٠٠٠ شخص يقومون بمناورة جماعية لتغيير المسار فجأة؟ «بالمصري كده: بعتناهم. خمسة آلاف بعتة على التوازي». أصيب العسكر بالذهول وصاح ضباطهم محاولين إخفاء فشلهم في توقع المناورة.

استمررنا في المشي نحو النيل، هاتفين وملوّحين. نربت على أكتاف بعضنا البعض كلاعبي الكرة بعد هجمة ناجحة، مشجعين ومهنئين أحدنا الآخر على وجودنا هنا ـ عمل شجاع في دولة يمثل التعبير فيها عن الرأي خروجًا على القاعدة، بل يمثل عملًا خطرًا في كثير من الأحيان.

لم تفرغ بلكونة واحدة تقريبًا من شخص أو أسرة؛ متسائلين، متفرجين، معلقين، مصورين بهواتف محمولة ومشاورين عقلهم إن كانوا سيُلبّون نداءنا إياهم بالنزول: «انزل! انزل! يا أهالينا ضموا علينا!». لا أعرف ما إذا كان الأمر قد نجح أم لا. لم نقف في مكاننا طويلًا، كان تيار المظاهرة يجرفنا معه، سريعًا، قويًّا، ولا يمكن إيقافه.

في إحدى البلكونات، سيدة مُسنّة ترفع يديها بالدعاء، وكأنها تتمنى لنا النجاح. شكرًا يا أمي، شكرًا لكِ أينما كنتِ.

ولكن أصدقاءنا العساكر لم ينتظروا كثيرًا. عند وصولنا إلى أول جسر من الاثنين المتتاليين العابرين النيل باتجاه ميدان التحرير الذي كان يجذبنا إليه بقوة خارقة، وجدنا سدًّا بشريًّا من طبقتين من ذوي الزيّ الأسود بانتظارنا، قاطعين علينا الطريق بعصيهم ودروعهم. تذكرت لحظتها قُطّاع الطرق في الأفلام القديمة.

إنما.. هيهات أن يوقفونا.

يا لهؤلاء العسكر. يصعبون عليَّ أحيانًا؛ إذ تقتضي أوامرهم أن يتحملوا ما يفوق طاقتهم بمراحل، ولو كان دون جدوى. لكنهم يجدون بداخلهم كمًّا غير مفهوم من العنف تجاه الشعب المصري يصعب تفسيره أو فهمه.

ربما تكون الصفوف الأولى من المتظاهرين قد فكرت لحظة في التوقف، ولكن التيار تدفق دون توقف. انهار السد الأسود، ولكن لم يمر الأمر من دون عنف من قِبلهم. ضربونا بالعصيّ وبالدروع وبالركلات، بدون تمييز، أي شخص وفي أي مكان. ولكننا ننتصر وينهزمون. نعبر الكوبري الذي فتحناه. أنحني لأتفادى ضربة عصا كانت موجّهة لرأسي، أسمع صفير العصا في الهواء. يحاول الجنود سد الثغرة التي صنعناها، لا أتوقف، أجري مع الآخرين في اتجاه الكوبري التالي.

بمجرد وصولنا إلى الكوبري التالي؛ كوبري قصر النيل ذي تمثال

أبي السباع ـ انشق حشد الجنود إلى الجانبين. هكذا شَعَر موسى إذًا. نهتف ونُهلل للجنود الجدعان (مع علمنا أنها الأوامر وليست الجدعنة)، وندعوهم للانضمام لنا.

وصلنا ميدان التحرير.

انتصرنا في المعركة الأولى، ولكن الراحة لم تكن لتدم طويلًا.

في البدء كانت مدافع المياه، ثم قنابل الغاز المسيل للدموع، والتي كانوا يطلقونها في البداية في مسار بيضاوي، ثم لم يلبثوا أن يتحولوا لإطلاقها أفقيًّا مباشرة نحو المتظاهرين. الأسلوب الإسرائيلي هذا الذي يمارسونه ضد مظاهرات الفلسطينيين، تمارسه الشرطة المصرية تجاه المصريين. «محلاهم ولادنا. لأ دول مش ولادنا. دول ولاد الـ... ولاد الحكومة».

والمئات من بلطجية الشرطة «منورين» بالثياب المدنية في قلب المظاهرة، وكان دورهم يتمثل في محاولة الاندساس وتسميم وإثارة الوقفة التي كان التوتر يسودها بالفعل، إلى الدرجة التي يجد عندها زملاؤهم من رجال الشرطة مبررًا لاستخدام العنف. كنا نراهم يصلون في سيارات وشاحنات الشرطة، ثم يمشون كل برهة عابرين إلى الجانب الذي تتوقف عنده الشرطة من الحاجز للحصول على الراحة والطعام.

وبالنسبة لراحتنا وطعامنا نحن؟ عشم إبليس في الجنة. أجبرت الشرطة مطاعم الوجبات السريعة المحيطة بميدان التحرير، حيث كان معظم المتظاهرين يتجمعون، على إغلاق أبوابها ـ وقد أكد لي هذه

المعلومة أحد العاملين في أحد مطاعم الكشري. (ولكنهم والشهادة لله تركوا فرع ماكدونالدز أمام الجامعة الأمريكية مفتوحًا.. ليأكل منه الضباط. رأيتهم بنفسي). كما رأيت الشرطة تطارد رجلًا وتتعامل معه بشراسة ثم تلقي القبض عليه، لمجرد أنه كان يحمل عدة صناديق من البسكويت للمتظاهرين.

مع هبوط الليل، نبدأ في التفكير في الخطوة القادمة. ولم تكن فكرة التخلي عن الميدان خيارًا متاحًا أصلًا. ولكننا نشعر بالبرد، أو أنا على الأقل أشعر بالبرد، وكذلك مها الأسود؛ وهي صديقة عزيزة وناشطة شجاعة ورفيقة المظاهرة التي قابلتها بالميدان. وكان آخرون بحال أسوأ بكثير من مجرد البرد أو التعب، فالعديد منا مُسنّون، والكثيرون أحضروا أولادهم الصغار معهم. اشترى البعض حلوى وبسكويت وشيبسي ووزعوها على الغرباء ومشوا قبل أن يسمعوا كلمة شكر، واشترى البعض الآخر زجاجات المياه التي تشاطروها. أسمع أحدهم يضحك مع صاحبه: «طب وزعنا اللي معانا، نشرب بقى من الجنينة؟». كان من المؤثر جدًّا أن ترى كيف يُؤْثِر المتظاهرون الآخرين على أنفسهم.

وقام آخرون بجمع النقود وشراء البطاطين ـ التي لم تكن لتكفي آلاف المتظاهرين الذين قرروا قضاء الليلة في الميدان، ولكن اللفتة نفسها كانت عامرة بالدفء. والناس كانت تتشاطر البطانية كما تشاطروا اللقمة. أصبحت فكرة المبيت بالميدان أكثر قابلية. الميدان صار بيتًا والغرباء أهلًا.

بعد منتصف الليل بقليل، وبينما بدأ الناس يهدءون بعد إرهاق

جسديّ وعصبيّ، وقعت الواقعة. كانت الساعة الواحدة إلا الربع تقريبًا عندما بدأت قنابل الغاز المسيل للدموع تنهمر علينا، قصفًا عسكريًّا هو. ووجدت نفسي أتذكر ما رأيته من صور وأفلام عن حادثة قصف النازيين لسكان لندن المدنيين أثناء الحرب العالمية الثانية. «ذا تحرير بليتز» (The Tahrir Blitz)!

لا بد أنهم قرروا أنه لا يمكنهم تركنا نبيت في الميدان حتى اليوم التالي، وهو يوم عمل؛ لذا قرروا الهجوم في الوقت الذي كان الناس قد بدأوا فيه في الاسترخاء والنوم. تصرُّف جبان وإن كان متوقعًا من الغدار: هاجمهم في أضعف حالاتهم.

مشهد بشع. بالكاد نتنفس أو نرى. اندفع وتدافع الناس هلعين، فمَن لا يُصاب بالهلع لو عجز فجأة عن الرؤية أو التنفس؟! ثم استجمعنا أنفسنا لنهرب من القصف في اتجاه شارع قصر النيل. مها تصرخ وتبكي - أمِنَ الغضب أم من الغاز المسيل للدموع؟ تعمي الأدخنة بصري فأتعثر وأقع، أقوم قبل أن أُدهس. أَعانني أحدُهم ومشى قبل أن أشكره.

أمسك بيد مها ونجري في الشوارع الجانبية. تطاردنا الشرطة بملابسها الرسمية، وترمي قواتها الحجارة في اتجاهنا. نعم: هم يرموننا نحن. أتوقف لتصوير فيديو للجنود المسلحين وهم يلقون الحجارة على المتظاهرين العزل، وليس العكس. يصيح أحدهم بي لأهرب، أتبعه.

نجد أنفسنا في شارع هدى شعراوي، ونفاجأ برجل مُلقى على الأرض وهو شبه غائب عن الوعي وينزف، مؤكد أنه أصيب بحجر. يتدافع الناس من حوله محاولين أن يساعدوه - بحسن نية وإن كان

بجهل. كل ما أستطيع أن أفعله هو أن أصيح بالناس المتحلقين حوله أن يبتعدوا عنه ليدعوه يتنفس، فيستجيبوا. ينادي الواقفون على طبيب أو ممرض متطوع كان واقفًا بالجهة الأخرى للشارع حيث كان يساعد مصابًا آخر، فيهرع ليُلقي نظرة على الرجل.

أترك لهم زجاجة المياه التي كنت أحملها ـ فلا يوجد ما يمكنني أن أساعد به أكثر من ذلك ـ ونمضي. نستمر في رحلة الهروب من التحرير بينما تطاردنا الأدخنة والجنود. في الشارع الذي نمشي فيه نجد جنديًّا مُلقى على كبوت سيارة؛ استنشق النذل المسكين أكثر مما يجب من الغاز المسيل للدموع الذي كان يطلقه علينا. ألتقط صورة له، لا يبدو حتى أنه لاحظ الفلاش. أقترب منه لأخبره: «افهموا بقى! إحنا في نفس الجهة.. صراعنا واحد!»، يغمغم شيئًا. أتركه في عناية جندي صاحبه وأمضي. بعد شارع يوسف الجندي بقليل، نرى بوكس شرطة على الناحية المقابلة من الشارع ينزل منه البلطجية. بلطجية بملابس مدنية وعصيّ سميكة. من بوكس الشرطة.. «شفت بعيني ماحدش قال لي». لا وقت للتصوير وليست الفكرة آمنة. نبتعد عنهم. أتوقف لشراء زجاجة مياه من كشك قريب. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة صباحًا، وبدأ القلق يساورنا في كيفية رجوعنا لبيوتنا.

بالقرب من ميدان الأوبرا، يحمل اثنان من المتظاهرين صديقهم المصاب، محاولين جاهدين أن يُخرجاه من المكان بدون فائدة. يقترب تاكسي لا يحمل سوى راكب واحد بجانب السائق. طوق نجاة يا ترى؟ يشيرون للتاكسي، ويبدو سائقه مترددًا في التوقف لهم، فيقف الشابان في طريقه. يخبرانه أن كل ما يريدانه أن يأخذ

صديقهما بعيدًا عن منطقة الخطر. يتظاهر السائق بتهدئة سرعته، ويطلب من الناس الابتعاد حتى يتمكن من التوقف، يبتعدون، فيولّي التاكسي هاربًا ويكاد يصدم شابًّا. ابن الكلب! أخيرًا، تتوقف لهم سيارة ملاكي تتطوع لنقلهم.

ننتظر أنا ومها قليلًا بعد ذلك حتى نعثر على تاكسي. يسألنا السائق: «على فين؟»، فأجيبه: «بس طلعنا من هنا وبعدين نزلنا في أي حتة!».

بالمقعد الأمامي شاب، طالب جامعي وصل توه من أسيوط، باحثًا عن فندق رخيص في وسط البلد ـ بالمِخلة وكومة الكتب التقليدية المربوطة بدوبارة سميكة. جميل والله. على الرغم من اليوم الشاق الذي قضيناه، يصعب علينا أن نكتم ضحكاتنا، فتهون علينا بعد كل ما مررنا به. ولكنه يخبرنا أن المظاهرات في أسيوط كانت صامدة هناك أيضًا، وفي وجه عنف لم نعتده نحن القاهريين حسب قوله: «هناك البوليس شديد قوي، مش زي هنا». يَعِد السائقُ الشابَّ بأنه سيجد له فندقًا رخيصًا بعيدًا عن منطقة الغاز المسيل للدموع بينما ينزلني أنا ومها عند بيوتنا.

الأربعاء ٢٦، الخميس ٢٧ من يناير
أميرة صلاح أحمد

تنامي الزخم

الانهيار. تلك هي الحالة التي أصابت اقتصاد مصر بعد ٢٥ من يناير. بعد مظاهرات يوم الثلاثاء الحاشدة التي استمرت على نطاق أصغر يومَي الأربعاء والخميس، واستخدام العنف والاعتقالات التي زادت من غضب الناس وإصرارهم، أصاب الانهيار البورصة المصرية والجنيه المصري. سادت حالة من الذعر بين رجال الأعمال والمستثمرين كادت تغطي على هتافات الثوار في الشوارع. وبصفتي محررة القسم الاقتصادي في الجريدة، كان الأمر مزيجًا من الإثارة والتحدي. لا أقصد طبعًا أن رؤية الاقتصاد يتداعى أمر مثير بأي صورة من الصور، ولكنها دفعة الأدرينالين وأنت تقوم بتغطية خبر عاجل على أية جبهة ـ سواء أكانت اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية. في ٢٦ من يناير انخفض المؤشر الرئيسي للبورصة المصرية أكثر من ٦ بالمئة؛ ليسجل أعلى معدل هبوط في يوم واحد على مدى السنوات الأخيرة.

كان الحدث قويًّا حتى إنه طغى في الصحف على أخبار

المظاهرات المتفرقة في أنحاء القاهرة والجمهورية. طبعًا هذا لا يقلل من أهمية الاحتجاجات التي أصبحت الآن للأسف تشبه المظاهرات الصغيرة المعتادة من مجموعة من الوجوه المألوفة وسط سيل من رجال الشرطة. أدت هذه الاحتجاجات إلى هبوط السوق كما قال لي أحد المحللين على الهاتف صباح يوم ٢٦ من يناير، وصوته ينم عن الفزع بطريقة لم أعتدها منه: «الناس عمالة تبيع.. مصريين وأجانب.. كله بيبيع».

في ذلك اليوم كان عليّ أن أقوم بتحرير الصفحة الشهرية الخاصة بالقطاع المصرفي، والتي عادة ما يكون موضوعها البنوك المستقرة في مصر، وتدفق السيولة، أو السياسة النقدية المرنة، ونجاح سياسة الإصلاح الاقتصادي، ومصطلحات المديرين التنفيذيين والمسئولين عن هامش النمو. في ذلك اليوم، جاءت تلك الصفحة مختلفة عن بقية الأخبار في الجريدة بشكل مذهل، وكل ما كنت أستطيع التفكير به أنه لا أحد يهتم بهذا الآن، وكنت أتساءل إن كنا سنجد من الأساس اقتصادًا لنكتب عنه في صفحة الشهر المقبل؟!

في اليوم التالي، هبطت البورصة أكثر من عشرة بالمئة، لتُسجّل أعلى معدل هبوط للمرة الثانية في تاريخها. كما انتشرت شائعات فرار المستثمرين ورجال السياسة ورجال الأعمال بالمليارات التي يملكونها، مما أثر بشكل سلبي على النظام بأكمله. من السهل إيجاد أسباب وجيهة للذعر إذا قارنا رد فعل البورصة هذه المرة بالأحداث السابقة والأخبار السيئة نسبيًا. بشكل ما، كان ذلك مؤشرًا على الآثار المحتملة للاحتجاجات المستمرة، خاصة مع

الحشد لـ«جمعة الغضب»، مما بدأ بالفعل يهدد استقرار فخر النظام المصري: الاقتصاد. فالأخبار السيئة على الصعيد الاقتصادي كانت تعني أن الانتفاضة الشعبية بدأت تهز ثقة المستثمرين، كما تشير إلى أن إحساس النظام الزائف بالأمن وواجهة الاستقرار قد انمحى تمامًا وتقوّض بشكل يعكس الحاجة الملحة للتغيير الذي بدأه المصريون بأيديهم.

صارت حالة الإحباط التي تظهر عادة في الواقع الافتراضي من خلال المدونات أو «تويتر» أو «فيسبوك» أو حتى بين الأصدقاء تنتقل كالعدوى حتى أوجدت لنفسها حياة على أرض الواقع. كانت الأحداث تتوالى بغض النظر عن العواقب، وقد اتضح هذا فقط عندما أظهرت التقارير محصلة أعداد القتلى والجرحى التي قُدرت بالمئات يوم الثلاثاء فقط.

اشتعلتْ مدينتَا السويس والإسكندرية (مسقط رأسي) مع ظهور أولى حالات القتل بالسويس التي بدأ الناس تشبيهها بسيدي بوزيد في تونس. بدلًا من أن يحدّ هذا من حماس المتظاهرين، ثارت ثائرة المواطنين العاديين الذين كانوا أبعد ما يكون عن أي نشاط سياسي. بالتدريج، بدأ كل واحد ينزل للشارع تدفعه أسبابه الخاصة؛ كنا نحس أننا محاصرون بالأخبار المتتابعة تقودنا الأحداث الدرامية المؤثرة التي رأينا مدى ترابطها بأثر رجعي، لتبدأ بعد ذلك حالة الاضطراب العاطفي المرهقة التي من شأنها أن تستمر لشهور ولا يمكن تفاديها. كذلك ظهر محمد عبد القدوس؛ عضو نقابة الصحفيين، يجره اثنان من عناصر الأمن بزيّ مدنيّ مثل الشوال، مما أثار مشاعر الناس

خاصة مع نظرة الإصرار على وجهه التي لا تخطئها عين والتي تعكس مشاعر ملايين المصريين.

اعتُقل أحد مصورينا الصحفيين أثناء تصويره مظاهرة صغيرة. أخذوا منه الكاميرا والتليفون المحمول وتم نقله مع عشرات المعتقلين غيره إلى أحد معسكرات الاعتقال في ضواحي القاهرة. وطبعًا ضربوه في الطريق، واستغرق الأمر بعض الوقت قبل أن نتأكد من مكانه في النهاية. كان يومًا شاقًّا في المكتب، وكنا نعرف أن المعتقلين عادةً مصيرهم مجهول، ولذلك قمنا بكم هائل من الاتصالات مع مَن تصورنا أن بإمكانهم المساعدة، ولكن بلا فائدة. كان من الصعب أن نأكل أو ننام أو نعمل ونحن نعرف أن أحدنا مُعتقَل. أسرته في حالة ذهول بينما نحس نحن الصحفيين بالعجز التام مع كل صلاتنا وشبكات معارفنا من الأهل والأصدقاء الذين يشغل بعضهم مراكز حساسة. لا بد أنني قد أعطيت اسمه وتفاصيل اعتقاله لعشرة أشخاص على الأقل. كل ما تمكّنا من معرفته أنه على قيد الحياة، ومن المحتمل أن يخرج بعد ساعات أو أيام. ربما قريبًا. ولكن بعد ذلك عرفت أن هذه حالة مئات المصريين الذين التقطوهم من الشارع. كذلك تم اعتقال أحد المراسلين الأجانب بالقاهرة لبضع ساعات، وقد أرسل تقريرًا صوتيًّا للجريدة الإنجليزية التي يعمل بها من داخل مدرعة الأمن المركزي حيث كان محتجزًا مع العشرات غيره. كان الاستماع إليه ملهمًا بشكل تقشعر له الأبدان.

أخيرًا بدأ العالم ينتبه لنا. خرج علينا وزير التجارة السابق رشيد محمد رشيد ليعلن أن المظاهرات لن تؤدي إلى زعزعة استقرار

مصر، وأن «الغضب يمكن احتواؤه». وهي مقولة مضحكة على كل المستويات: كيف يمكن احتواء أي غضب أصلًا؟ الولايات المتحدة كانت ترى أن الحكومة المصرية مستقرة؛ وهي مقولة تعكس انعدام الرؤية تمامًا لمن يصدقها. أما الاتحاد الأوربي، فقد دعا مصر، بلهجة أقل غطرسة، للاستماع على الأقل لمطالب المتظاهرين واحترام حقهم في التظاهر. في الحقيقة، كان من الصعب جدًّا تجاهل المتظاهرين الذين تردد صوتهم في كل أنحاء الجمهورية.

الخميس ٢٧ من يناير، منتصف الليل

بدت ليلة ٢٧ من يناير، والساعات الأولى من يوم ٢٨، والأيام القليلة التي تلت ذلك، كسَيْل متدفق من الساعات. يوم مستمر إلى الأبد. كان من الصعب تحديد بداية يوم ونهاية آخر، ساعات يتخللها العنف والقلق وفتات من الأكل والنوم. كانت أيامًا دموية، حتى ليل القاهرة بدا أكثر برودة من المعتاد.

مع بداية يوم ٢٧ من يناير، بدأت الشائعات حول قطع كافة أشكال الاتصالات، وقرب منتصف الليل، تحققت الشائعات لتجعل المصريين صُمًّا عميًا. ولكن بدلًا من شل حركة الشعب، عَجّلت سلسلة القرارات الغبية بسقوط النظام؛ انفجار صامت حطم حاجز الخوف الأخير.

تم تبادل رسائل الإيميل مع تعليمات حول كيفية الدخول على مواقع التواصل الاجتماعي التي حجبتها الحكومة. ثم جاءت رسائل

أخرى مخيفة ومدهشة في نفس الوقت؛ كانت تتضمن معلومات حول نوعية الملابس التي يجب أن ترتديها في المظاهرات ووسائل الدفاع عن النفس، وكيفية التعامل مع آثار الغاز المسيل للدموع، وأماكن التجمع والطرق التي تسلكها في أنحاء الجمهورية. كانت الرسائل تُرسل على حدة، من دائرة أصدقاء إلى أخرى، تمامًا مثل توزيع المنشورات في الثورات قبل العصر الرقمي. كل من أعرفهم عادوا إلى منازلهم في وقت أبكر من المعتاد للحصول على قسط من النوم استعدادًا للمعارك القادمة، ولكني واثقة أن الكثيرين أمثالي لم يتمكنوا يومها من النوم. من الصعب وصف الأحاسيس والأفكار التي دارت في رأسي طَوال تلك الليلة. لا أعرف من أين أبدأ. يكفي القول بأن لحظات الخوف والشك والترقب وما إلى ذلك، تغلبت عليها أخيرًا مشاعر الحماس والأمل والتحدي والثقة، وإيمان قويّ بأن التغيير القادم يعني سقوط النظام.

كانت الفكرة المسيطرة عليَّ تلك الليلة أنه لا يمكن التراجع الآن. عند النقطة الحاسمة، أراد الشعب أن يُغير الواقع، وسيتغير هذا الواقع. ربما كان هذا آخر شيء أرسلته على «تويتر» قبل قطع الاتصالات والإنترنت.

قبلها بقليل، اتصلت بصديق لي يعمل بإحدى شركات الاتصالات الكبرى لأسأله عن مدى صحة تلك الشائعات: «هو صحيح ممكن الحكومة تخلي شركات الاتصالات تقطع الخدمة عن المحمول والإنترنت؟ يعني مش حنعرف نكلم بعض؟». أكد لي بكلمات حاول أن يجعلها مبهمة قدر استطاعته عبر الهاتف، الذي لم يكن آمنًا تمامًا،

احتمالية حدوث ذلك ونصحني أن أتخذ الاحتياطات بفرض حدوث ذلك قائلًا: «لما تنزلي بكرة من البيت انسي إن عندك موبايل».

حاولت الاتصال بكل من استطعت الاتصال بهم قبل منتصف الليل، وتبادلنا أرقام الخطوط الأرضية. كان الأمر مخيفًا في بدايته؛ مَن يستخدم الخطوط الأرضية في أيامنا هذه؟ المضحك في الموضوع أنني انتقلت إلى هذه الشقة الجديدة قبل عام، وتقريبًا لم أستخدم الهاتف الأرضي مرة واحدة. أدركت وقتها أنني لا أعرف رقم بيتي، واضطررت إلى كتابته على نفس الورقة التي كتبت عليها أرقام أصدقاء لي في رويترز والأسوشيتدبرس، وقناة الجزيرة، والمصري اليوم مع أرقام هواتف المنزل لمحررينا ومراسلينا في «دايلي نيوز إيجيبت». ورقة لا أستطيع التخلص منها ـ وأتمنى ألا أضطر أبدًا لاستخدامها مرة أخرى.

مع شمس يوم ٢٨، انقطع الإنترنت تمامًا وتوقفت الخدمة عن الهواتف المحمولة وخدمة الرسائل القصيرة والبلاك بيري. زاد انعزالنا عن العالم الخارجي شيئًا فشيئًا. أصبحنا وحدنا تمامًا، لا نملك غير بعضنا البعض. ومن لحظات الوحدة تلك تمخضت أكثر الأيام التي عرفناها اتحادًا وقوة في تاريخ مصر. لم أشعر من قبل بهذا الارتباط بملايين الناس غيري رغم العزلة المفروضة علينا.

وهكذا وُلِد سلطان الشعب.

٢٨ من يناير
طارق شلبي

جمعة الغضب

انقطعت كل وسائل الاتصال يوم ٢٨ من يناير في مصر للمرة الأولى في حياتنا. كانت خدمة الرسائل النصية والإنترنت قد قُطعت من الليلة السابقة، وبحلول صباح الثامن والعشرين كانت كل وسائل الاتصالات، قد انقطعت تمامًا وصِرنا في ظلام اتصالاتي/ معلوماتي تام؛ لذا سأحاول أن أعتمد على ذاكرتي في سرد أحداث جمعة الغضب بالترتيب:

الاستعدادات

بعد مظاهرات الخامس والعشرين أدركنا أننا لا بد أن نستعد، وتوقعنا قطع كل وسائل الاتصال. وقبل جمعة الغضب، تداول الجميع ملفات «PDF» عبر البريد الإلكتروني بها معلومات مفيدة عن التعامل وقت المظاهرات كنوع من أنواع الاستعداد. كنت قلقًا وخائفًا مما سيحدث، بالرغم من شعور التفاؤل الذي خيّم عليّ. اتفقت أنا

وأصدقائي على اللقاء بالقرب من بيتي في ميدان أنس بن مالك الساعة الحادية عشرة والنصف، على أن نصل لميدان مصطفى محمود في وقت صلاة الجمعة ـ وبالفعل تقابلنا في الصباح أنا وحاتم سعودي وحازم ذهني وهبة الشريف والصحفي الإسباني أوسكار أبو قاسم.

المسيرة لميدان الجلاء

كان واضحًا جدًّا أن غالبية الناس المجتمعة في ميدان مصطفى محمود لم يكونوا هناك للصلاة، فحتى قبل أن ينتهي الجميع من قول «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» صاح رجل أربعيني في الصف الأخير بمنتهى الحماس: «الشعب يريد إسقاط النظام»، وانضم له الجميع في الهتاف على الفور.

كانت قوات الأمن المركزي قد أحاطت بالمنطقة.. ولكن صفَّيِ العسكر لم يكونا ليخيفا أناسًا قرروا الدفاع ببسالة عن حقهم في الديمقراطية. توجهنا أولًا إلى شارع البطل أحمد عبد العزيز ولكن جنود الأمن المركزي ضيقوا الخناق علينا فاضطررنا لاستخدام شارع ضيق لنلتف من حولهم، ثم تمكن بعض الأشخاص من إيجاد طريق آخر لشارع جامعة الدول وتبعهم الجميع.

سرنا في شارع البطل أحمد عبد العزيز حتى وصلنا لكوبري الدقي، وعندها كنت قد فقدت القدرة على إحصاء عدد المتظاهرين حولي، ولما نظرت خلفي لم أرَ نهاية للجموع. لم أرَ في حياتي مظاهرة بمثل هذه الضخامة، وصارت معنويات الجميع في السماء. في لحظة ما لم أستطع رؤية بداية المسيرة ولا نهايتها، وهذا يعني أننا

كنا حوالي ٢٠ ألف شخص (لم نكتشف قلة عددنا إلا بعد وصولنا للمظاهرة المليونية في ميدان التحرير بعدها). لم يتعرض لنا أحد من الأمن المركزي حتى اقتربنا من ميدان الجلاء.. وعندها بدأت المعمعة!

تطايرت علينا قنابل الغاز المسيل للدموع مثل الفشار الخارج من حلة بلا غطاء! لا بد أن الأمن المركزي اشترى كل هذه القنابل بمبلغ يعادل اقتصاد دولة صغيرة على أمل تفريقنا. لكننا صمدنا. مرت حوالي ساعة من هجمات قنابل الغاز ـ الآلاف منها يُقذف علينا من كل الاتجاهات. جريت إلى أحد الشوارع الجانبية وانتهى بي المطاف محتجزًا في مدخل إحدى العمارات مع مجموعة من الناس، وهناك وجدت صديقتيّ روان الشيمي ومنى عبد العزيز وبقيت معهما.

عمَّت مشاعر التآزر والتكاتف على مظاهرات الجمعة؛ كانت زجاجات الخل تلف على الجميع وتَشَاركنا كلنا في زجاجات المياه التي كانت دائمًا مصحوبة بتحذير صارم «اوعى تمسح بها عينيك!»، كما كان لدينا حصيلة جيدة من البصل المقطع، وكان البيبسي ـ الراعي غير الرسمي للثورة ـ يدور علينا كما لو كنا في مهرجان. «يا احنا يا الأمن المركزي!».. كان هذا هو الوضع ببساطة، وكان دافعنا أقوى بكثير من دافعهم.

أعدنا تنظيم صفوفنا ونحن في المبنى، وتناوبنا استكشاف ميدان الجلاء على أمل أن يكون الوضع قد تحسّن هناك، كما تناقشنا حول أفضل الطرق لاستكمال المسيرة، وأخذنا برأي الغالبية وحاولنا العودة إلى الميدان وإبقاء المظاهرة سلمية.

تمكّنا في نهاية الأمر من الاستيلاء على ميدان الجلاء ودخول الزمالك حيث كانت الصفوف الأولى من المظاهرة قد وصلت لمحطة مترو الأوبرا. احتجنا فقط لبعض الوقت لنُجبِر الأمن المركزي على التراجع إلى كوبري قصر النيل.

معركة صعبة وطويلة عند كوبري قصر النيل

تُعتبر هذه المعركة أكبر فوز استراتيجي لنا ضد الأمن المركزي، كما كانت الأصعب أيضًا. تطلّب الفوز منا هجمتين متتاليتين ونحو ثلاث ساعات من القتال المستمر. قامت قوات الأمن المركزي بحركة استراتيجية ذكية لأول مرة، حيث تركوا لنا مدخل كوبري قصر النيل مفتوحًا وتراجعوا إلى منتصفه، مما يعني أننا سنفقد ميزة كثرة عددنا لأننا سنضطر لدخول الكوبري الضيق كعنق زجاجة، وهذا يعني أيضًا أن عددًا قليلًا منا هو الذي سيستطيع التواجد في الصفوف الأولى (معطلين خلفنا آلاف الناس بلا فائدة).

بصراحة، لست من نوعية الأشخاص الذين يلقون بأنفسهم على الخطوط الأمامية في المظاهرات، بل عادة ما أقف للخلف قليلًا مؤمِّنًا خطة للخروج. ولكن في هذه اللحظة تحديدًا كنت على الخطوط الأمامية وخلفي آلاف الأشخاص مما يعني أن فكرة تراجعي لم تعد أمرًا مطروحًا أو ممكنًا أصلًا. في تلك اللحظة عثرت على علي عزمي ومحمد القويسني.

هل تتذكرون المشاهد التي عرضها التلفزيون بعد جمعة الغضب بيومين والتي تضمنت صورًا لمصلين يؤدون الصلاة بينما ترشهم

مدرعة الأمن المركزي بالمياه؟ لحظتها قرر عزمي والقويسني الانضمام للصلاة، وكنت خلفهم أحمي ظهرهم (أو أمارس عدم الصلاة.. أنت وضميرك يعني). كنت في الصف الأول وراء المصلين، وبمجرد انتهاء الصلاة انهالت عليهم الرصاصات المطاطية ورصاص بنادق الرش (والتي أصابت عزمي في رجله اليمنى) وطبعًا قنابل الفشار ـ أو الغاز في مقولة أخرى.

كانت هناك مدرعتا أمن مركزي خضراوان خلف الصفوف الأمامية للجنود، كلتاهما بهما قاذفة قنابل غاز أعلاها. لكن المشكلة التي واجهتها المدرعتان هي أن الجنود تراجعوا بسرعة وتركوهما وسط المتظاهرين. سيارات الأمن المركزي مصفحة، مما يعني أنه لا توجد هناك طريقة لتكسير الزجاج والوصول إلى السائق، لكن أحد الشباب صمم على المخاطرة بالقفز على السيارة الموجودة على اليسار وجلس ضاغطًا بوزنه كله على غطاء السيارة العلوي الذي تخرج منه قاذفة القنابل. حاول جندي أمن مركزي فتح الغطاء من داخل السيارة لكن الشاب صمد على موقفه، والفائدة وراء هذا كانت تقليل عدد قنابل الغاز الخارجة من السيارة إلى حد كبير.

حاول شاب آخر تقليد الشاب الأول وعمل نفس الشيء مع السيارة الموجودة على اليمين، وهذه المرة أطلق جندي أمن مركزي قنابل الغاز على من حوله مباشرة، وعندما اقترب الشاب الثاني من سطح السيارة رش عليه الجندي رذاذًا للدفاع عن النفس ودفعه من فوق السيارة. وبالرغم من أن هذه المحاولة لم تكن ناجحة كسابقتها إلا أنها وفّرت لنا بعض الوقت كي نتقدم، وفي تلك الفترة

كنا نرمي كل قنابل الغاز التي يُلقونها علينا في النيل، وعلى الجنود بين الحين والآخر.

عندما اجتزنا ثلاثة أرباع الكوبري كان جنود الأمن المركزي الواقفون عند نهايته بانتظارنا، بالإضافة إلى الآخرين الذين كنا نواجههم منذ قليل. كان الهجوم علينا عنيفًا، خاصة بالنسبة لهؤلاء الذين وقفوا الفترة طويلة في الصفوف الأمامية فاضطررنا للتقهقر. شعرنا في لحظات أننا قد نَدهس بعضنا البعض من فرط الإجهاد والتخبط؛ ولأن الجنود قذفونا بقنبلتَي غاز لم نتمكن من التخلص منهما.

عدت لمكان قريب من الأوبرا مع صديقي المصاب عزمي، وهناك قابلنا حاتم وبعده أوسكار. كان الناس في حالة إعياء عامّ، وحولنا عشرات المصابين. كان هناك عدد من الأطباء (من بينهم شابة أجنبية) يتجولون في شارع الأوبرا عشوائيًّا بحثًا عن مصابين ـ مشهد ملهم ومؤثر بحق.

أخذنا هدنة وانتظرنا التعزيزات.

الهجمة الثانية في معركة قصر النيل

بينما جلسنا نلتقط أنفاسنا ظهرت حشود متحمسة من ناحية ميدان الجلاء ـ «جدعان الجيزة والهرم وصلوا!». وصل آلاف وآلاف من المتظاهرين الشباب الذين كانوا محتجزين في الجيزة والهرم، والذين كانوا مميزين جدًّا بلافتاتهم وطاقتهم الإيجابية المعدية جدًّا! أفسح أولاد المهندسين وغيرهم من المتظاهرين المرهقين طريقًا للرجالة.. دقت ساعة العمل!

تصرفت كصديق مثاليّ وتركت عزمي وعدت إلى الكوبري (لقد تاه مني في الزحام في الحقيقة، ولم يكن ليتقدم خطوة للأمام على أي حال). نَفَسَان عميقان فقط من الغاز المسيل الأمريكي الجميل أرهقاني جدًّا، فاضطررت للاستراحة في حديقة على النيل مدخلها عند أول الكوبري. قضيت فترة تتراوح من ثلاث إلى أربع ساعات وحدي تمامًا واستغللت الفرصة في محاولة استيعاب كل شيء وحدي بعيدًا عن تأثير أصدقائي والجو المحيط. وبمجرد أن تمكن الحشد من الوصول للطرف الثاني من الكوبري، انضممت لهم مرة أخرى لنشق طريقنا للتحرير.

المساء في ميدان التحرير

لعل هذا هو أروع ما حدث منذ بدء الثورة حتى الآن؛ لم يحظَ الكثيرون بمتعة عبور كوبري قصر النيل والنزول لميدان التحرير يومها مثلي. كنت على وشك الانخراط في لحظة عاطفية كوميدية مع الميدان، لكن الرصاصات والقنابل الآتية من جنود الأمن المركزي المتراجعين أجّلت الموضوع قليلًا.

دقت طبول الحرب.. احترق سقف فندق «الإنتركونتيننتال» بسبب القنابل، وانضم إلينا الآلاف القادمون من ماسبيرو. كان الظلام قد بدأ يخيم على المكان، وكنا نكسب أرضنا بالتدريج. كانت المسيرة من الكوبري إلى الميدان نفسه عاطفية للغاية، فانفجرت في البكاء وبدأت في احتضان الأغراب والابتسام لهم ببلاهة. لقد فعلناها! عاد ميدان التحرير لناسه. لم يتحسن الوضع عند وزارة الداخلية

لمدة ساعتين أو ثلاث تقريبًا؛ لأن الأمن المركزي كان يدافع عنها باستماتة. تجوّلت في المنطقة ورأيت مقر الحزب الوطني الديمقراطي يحترق.. منظر جميل!

في نفس الليلة التقيت صدفة بحسام الحملاوي وحييته بحضن قويّ وأعربنا عن عدم تصديقنا لمجرى الأحداث. كلٌّ منا كان يحارب ـ بطريقته الخاصة ـ من أجل الثورة منذ زمن بعيد، وها نحن نلتقي جميعًا في التحرير. حكى لي حسام كيف بدأ يومه بالانضمام إلى مسيرة بدأت من مدينة نصر حيث يسكن، وكيف أنه حارب في ٣ مواقع كان أكبرها في المنطقة التي تقع بين ميدان رمسيس والتحرير. ظللنا أمام مجمع التحرير حيث كانت ما زالت هناك بعض المناوشات مع جنود الأمن المركزي الذين كانوا يحمون مبنى الوزارة ومجلس الشعب. لم يمر الكثير من الوقت حتى التقيت مجددًا بحسام ذهني وبَقَينا سويًّا حتى النهاية.

في حوالي العاشرة والنصف ذهبت أنا وحازم لأحد الأكشاك الموجودة في الزمالك لشراء وجبة خفيفة وللاتصال بأهلنا (من خط أرضي). لا داعي لأن أقول إن رد فعل والدتي كان دراميًّا بعض الشيء؛ اتضح لي أنها كانت على اتصال بأهل كل من التقيت بهم في المظاهرات. كانت المساعدة الوحيدة التي قدمها أهالينا لبعضهم البعض هي زيادة درجة الهلع بينهم! كان كل أصدقائي قد عادوا لمنازلهم في هذا التوقيت، ولكن نورا أختي لم تعد بعد ـ اتضح لي أنها كانت على الجانب الآخر من الموقعة الدائرة عند وزارة الداخلية (أو بين المجمع والجامعة الأمريكية للدقة). قلقت أمي، ولكنني

كنت أعرف عن أختي أنها لن تُورِّط نفسها في مشاكل. طلبتْ مني أمي العودة إلى المنزل، فقلت لها إنني لن أعود إلى سريري إلا بعد أن ننتصر!

الجيش وصل

صاح المتظاهرون بمجرد وصول الجيش: «أنت معانا ولا معاهم؟». لم تكن لدى الجنود داخل المدرعات التي ظهرت في منطقة وسط البلد أدنى فكرة عما سيفعلونه أو إلى متى سيظلون هنا. في هذه المرحلة لم يكن الأمر مهمًّا، وعمّت مشاعر البهجة على الجميع لدرجة أن الموقف بدا لنا وكأنه مأخوذ من فيلم وليس موجودًا على أرض الواقع. قفز الشباب على المدرعات بمجرد اقترابها منا احتفالًا بها، وكانت رؤية الأطفال وهم «متشعلقين» على المواسير الخارجة منها مضحكًا! لم يخف أحد من الجيش، وكانت رؤية المدرعات في وسط البلد مبهجة للغاية.

في وسط المدرعات كانت هناك شاحنة بدا عليها أنها مملوءة بالطعام. قفز طفلان عليها، وقام الناس بتمزيق غطائها واكتشفوا أنها مملوءة بصناديق وجبات! في ثوانٍ تم توزيع أكل الجنود كله على المتظاهرين الجائعين الذين صمدوا ١٢ ساعة حتى ذلك الحين بلا طعام. أتينا على الأخضر واليابس في هذه الشاحنة، وتشارك الجميع وجبة كانوا في أمسّ الحاجة لها.

عندما عبرتْ إحدى المدرعات إلى الجانب الآخر من ميدان التحرير (المكان الذي تدور فيه المعركة مع جنود الأمن المركزي)

لم يتوقف ضرب الأمن المركزي، اعتقدنا أن الجيش يتضامن مع وزارة الداخلية ضدنا؛ ولهذا تم إعلان الحرب على ثلاث مدرعات، تمكنت مجموعة من الشباب من إلقاء ملابس محترقة داخل إحدى المدرعات ليخرج السائق ومَن معه بسبب الرائحة، فخرج جنديان من المدرعة بسرعة وألقى المتظاهرون القبض عليهما. قفز عشرات المتظاهرين فوق المدرعة ـ التي صارت فارغة الآن ـ ودخلوها كلهم (بطريقة ما!).

ولكي يصير الموقف أكثر سيريالية، تحركت المدرعة بضعة أمتار للأمام! ولكن من حُسن حظ الأجيال القادمة أن الجيش تمكن من استعادة النظام والمدرعة أيضًا. وعلى الفور صعد الجميع على ظهر المدرعات لتدشين التقليعة الجديدة ـ التي صارت فيما بعد رمزا للثورة ـ وهي التصوير مع الدبابة! قررت أنا وحازم العودة إلى منازلنا في الثانية صباحًا؛ كان لا بد أن نرتاح قليلًا بعد التظاهر لأربع عشرة ساعة متواصلة.

طريق العودة الطويل

كان الجميع قد عادوا إلى منازلهم والتصقوا بشاشات التلفزيون، ولم يكن هناك أي سيارات في الشارع. مَشيْنا على كوبري ٦ أكتوبر ووصلنا إلى الزمالك على أمل أن نجد تاكسي، ولكن لم يحالفنا الحظ. تركني حازم في شارع ٢٦ يوليو عائدًا إلى منزله، واستكملت سَيْري إلى المهندسين في ٤٥ دقيقة تقريبًا.

كنت وحدي تمامًا. لم أجد أي غريب أرافقه في طريقي وأشاركه

المشاعر التي جاش بها صدري نحو هذا اليوم التاريخي. أنا أشهد بداية عهد جديد في مصر. يمكنني الآن أن أقول إنني ساهمت في إحداث التغيير في بلدي. هذا هي نهاية النظام الذي لم أعرف غيره طَوال حياتي. شعرت في طريق عودتي بإحساس لم أعرف أنني أُكنّه لهذا البلد: الانتماء؛ هذه مدينتي.. وهذا بلدي.. وهؤلاء ناسي.. ونحن نملك هذه الأرض.. ولن يستطيع أحد سلب بلدنا منّا.. وهذه هي البداية وحسب.

قال جيفارا: «الثائر الحقيقي هو من تدفعه مشاعر الحب النبيلة»، ولا أحد يحب مصر أكثر من المصريين.

الجمعة ٢٨ من يناير
سارة السرجاني

استرداد البلد

طَوال السنوات القليلة الماضية لم تجتذب المظاهرات أكثر من بضع مئات، وذلك على أفضل تقدير. لكن في يوم الجمعة خرج عشرات الآلاف إلى الشوارع، وكان مشهد المحتجين الذين علت أصواتهم بالهتاف والغناء وقد امتلأت بهم الشوارع الرئيسية يبعث نوعًا جديدًا من الفرحة.

كان التغيير وشيكًا.

كان المفترض في هذه الاحتجاجات أن تكون خُطوة صغيرة نحو التغيير. لم يكن من المستبعد تكرار سيناريو الشرطة التي تسمح للمحتجين في القاهرة بتنظيم مسيراتهم بحرية عبر الشوارع، كما كان الأمر في ٢٥ من يناير. لكن بعكس يوم الثلاثاء اندلع العنف في وقت مبكر من يوم الثامن والعشرين من يناير.

في هذا اليوم قررت أن أكون مواطنة، ومراسلة صحفية، لا محررة أخبار. قضيت الليلة السابقة أهرول بين كتابة أرقام التليفونات الأرضية

لأصدقائي، والنظر في المعلومات المتداوَلة بخصوص أماكن تجمع المتظاهرين، ومحاولة التغلب على الشعور بالقلق حتى أتمكن من النوم ساعات قليلة. حملت الكاميرا وخرجت من مكتبي إلى الشارع.

عند مسجد مصطفى محمود قبل صلاة الجمعة ساعد الكلام مع الأصدقاء والمعارف على تخفيف حدة التوتر - أو لعلّه كان الإحساس بالإثارة، الحق أن دوامة الأحداث والمشاعر التي ذات ذلك اليوم شوَّشت ذاكرتي.

كانت رؤية آلاف المصريين في مسيرة شعبية مشهدًا مهيبًا. تعرضتْ لياقتي البدنية - أو بالأحرى افتقادي لها - للاختبار المستمر؛ فمثلًا نَفَسي القصير استطال رغمًا عني، وانقبضت عضلاتي وآلمتني، في البداية بسبب المجهود المبذول، ثم بعد ذلك بسبب الخوف. هبَّت علينا سُحب الغاز المسيل للدموع في وقت مبكر قبل أن تصل حشود المتظاهرين إلى شارع التحرير، لكن المعركة لم تبدأ إلا في ميدان الجلاء حيث أطلقت قنابل الغاز المسيل للدموع. التقط الشبان الشجعان قنابل الغاز وقذفوها بعيدًا بمجرد سقوطها على الأرض. كان المحتجّون يسارعون بتقديم الخَلّ والمشروبات الغازية - وهي مواد قيل إنها تخفف من تأثير الغاز المسيل للدموع - للغرباء الذين أصبحوا الآن إخوتهم. وبغضّ النظر عن الاختناق من الغاز المسيل للدموع؛ الذي يسبب التهابات في العين والجلد، كان الخوف الأكبر أن تسقط قنبلة من قنابل الغاز على رأس أحد - أو رأسي. لم يكن لدى قوات الشرطة مانع في أن تطلق قنابل الغاز مباشرة وسط أي حشد من المتظاهرين. تراجع قليلون من الصفوف

الأمامية ووجوههم مضرجة بالدماء، واتضح أن سقوط القنابل على الرءوس لم يكن مجرد مخاوف. انسحب آلاف المتظاهرين إلى الشوارع المؤدية إلى ميدان الجلاء ثم اندفعوا للأمام. صار الأمر بين كرّ وفرّ لأكثر من خمس وأربعين دقيقة؛ توترٌ طاغٍ لكن لا وقت للخوف، وحتى لو استحوذ عليّ الخوف للحظة فقد كنت أدرك أنه ليس أمامي سوى الاستمرار في التحرك، سواء أكان ذلك بالتقدم للأمام أم بالتراجع للخلف.

كنت محظوظة لأن أخي الأصغر؛ أحمد، كان معي. كانت هذه أول مرة يشارك في مظاهرة وكان عازمًا على التقدم للأمام، وأظهر إصرارًا أكبر في ذلك من دافعي كصحفية. وصلنا في النهاية إلى نقطة لم يكن فيها مخرج للأمام سوى طريق ضيق على كوبري سدّت سيارات الأمن المركزي جزءًا كبيرًا منه. جندي شديد الهياج كان يبرز من سقف السيارة في مقدمة تشكيل الجنود لكي يطلق قنابل الغاز المسيل للدموع، بينما كان زميل له يفعل الشيء نفسه من جانب السيارة. أصيب سائق السيارة بالذعر وبدأ بالرجوع إلى الخلف فاصطدم بقوة بسيارات الأمن المركزي خلفه. أدركنا أن هذا الذعر لا يعني سوى أن الجنود بداخل السيارة سوف يطلقون النار على المتظاهرين الذين يتحركون إلى اليسار. ولأن المسافة بين السيارة وسور الكوبري كانت ـ حوالي ـ مترًا واحدًا فقد أدركنا أن قنبلة الغاز التي ستنطلق قد تكون مميتة، وفي أفضل الافتراضات ستتسبب في إصابات خطيرة.

جَريْنا عبر الطريق الضيق المتاح، ولم تصبني قنبلة لكني لا أعرف

إن كانت أصابت مَن خلفي. لم ينقطع الغاز المسيل للدموع أثناء اندفاعنا نحو كوبري قصر النيل. أحيانًا كنت أشعر بشدّ عضلي في كلتا رجليّ، وكان أخي يدفعني محاولًا حمايتي. كنا مضطرين للجري والاستمرار في التقدم للأمام، فقد كانت قوات الشرطة تتقدم نحونا من الخلف أيضًا. لا يمكنني وصف ما كنت أفعل على أنه جريٌ، إنما كنت أطأ الأرض بسرعة كأن رجليّ عكازان خشبيان بلا مفاصل. وحينما اقترب المتظاهرون من نهاية كوبري قصر النيل، كان من الواضح أن قوات الشرطة لن تتزحزح عن مكانها؛ فقد كان هناك عدد أكبر من الجنود والمزيد من سيارات الأمن المركزي. حان وقت الصلاة فتنحيت إلى جانب الكوبري لأستنشق هواءً نقيًّا وأستريح بينما يؤدي الآخرون الصلاة. لم أتبين ما إذا كانت هذه قوات شرطة في قوارب أسفل الكوبري أم أنهم كانوا مجرد متفرجين مذهولين.

وفي لحظة أصبح من الواضح أن القنابل المسيلة للدموع لم تفلح في إعاقة المتظاهرين: مدافع المياه والرصاص المطاطي والخرطوش كانت الأسلحة الجديدة التي ستُستخدم ضد المتظاهرين الذين ظلوا يهتفون: «سلمية سلمية!» أثناء مسيرتهم. كانت الشعارات المناهضة لمبارك كثيرة، لكن هذه كانت مظاهرة سلمية، فقد تم منع مَن أرادوا مهاجمة عساكر مكافحة الشَّغْب خلال اليوم. وحقيقة لم أعرف إلا من خلال مقاطع الفيديو أن رشاشات المياه كانت تُستخدم ضد المتظاهرين بينما كانوا لا يزالون يؤدون صلاتهم. أدرنا ظهورنا لقوات مكافحة الشَّغْب وبدأنا بالجري، لكنهم كانوا ينزلون بهراواتهم على أجساد من تصلهم أيديهم. وانتهت تلك

النيات «السلمية» بنزول أول عصا على رأسي ورءوس آخرين، وبهذه الطريقة أدركت أنني أقف في الصف الأول المواجه للأمن المركزي. سيطر الذعر على جموع المتظاهرين، الذين أغرقتهم المياه، بينما كانوا يحاولون التراجع للخلف بسرعة. كانت الأرض زلقة مما جعل الجري مستحيلًا. وعلى كلٍّ فقد تعرقلتُ وسقطتُ على الأرض، لكن لحسن الحظ وقعت في منطقة خالية من المتظاهرين وإلا لكانت سحقتني الأقدام. لم أكن أدري كم أنا محظوظة حتى توقفت على زاوية في الطرف الآخر من الكوبري. وبينما كنت أتحسس التورم الآخذ في الازدياد في رأسي رأيت الدماء من حولي. أخبرني أخي أنه رأى لوحة إعلانية ثقبتْها رصاصات معدنية حينما سقطنا على الأرض. وجدت مجموعة أطباء ضمن ما قيل إنها «مبادرة البالطو الأبيض» لتقديم العلاج الطبي للمتظاهرين في موقع الأحداث. كانت إصابات الخرطوش واضحة.

بالقرب من دار الأوبرا، كان الأطباء يخيطون الجروح ويعالجون المصابين بإمكانيات محدودة. أحد الشباب في العشرينيات من عمره كان وجهه مغطى بالدماء، وقال إن جرحه استلزم ١٠ غرز، لكنه كان يخطط للعودة إلى الشارع ليواصل الاحتجاج. بعد ذلك انتقل الأطباء والمصابون إلى مستشفى قريب بالزمالك تحت الإنشاء، وهناك كانت غالبية الإصابات أشد خطورة. قال الأطباء إن أحد الرجال أصيب بثلاثة جروح خطيرة من رصاصات مطاطية، بما في ذلك جرح أعلى العين. اضطررنا للتراجع أكثر أمام مطاردة الشرطة لنا. وصرخنا: «اخرجوا من المستشفى، بلاش نسيب لهم حجة عشان يعتدوا على المصابين». أحد المتظاهرين استولى على درع لأحد المجندين وكان

يلوح به كغنيمة حرب بينما كنا نواصل الجري. لم أستطع أن أمنع أخي من أن يلتقط حجرًا ليدافع عن نفسه حينما نواجه قوات الشرطة من جديد. جرينا عبر حي الزمالك لنصل مرة أخرى إلى ميدان الجلاء. ألقى المشهد هناك الارتياح في قلبي لأول مرة خلال هذا اليوم؛ إذ استولى المتظاهرون على سيارات الأمن المركزي وكانوا يقفزون فوقها بابتهاج شديد.

كان بإمكاني أن أعود إلى المكتب لأكتب عما شاهدت، فوسط قنابل الغاز المسيل للدموع ورشاشات المياه والطلقات المطاطية والمعدنية كانت الروح الودودة، والعزم على الحفاظ على الثورة سلمية، وهذه الجسارة غير المسبوقة على الإطلاق هي ما برز خلال الأحداث. أحيانًا كانت تبدو فكرة التقاط صورة مهمة ثقيلة. غريزتك تصرخ بداخلك: «انفد بجلدك إذا كنت في الصفوف الأمامية؛ وأجِّل أي فكرة أخرى». كان مَن تقدموا إلى الصفوف الأمامية هم من تحملوا عبء إخلاء الطريق من الفيض المستمر من قنابل الغاز المسيلة للدموع أمام من جاءوا من خلفهم؛ كانوا هم الأبطال الحقيقيين. مشهد طلقات الخرطوش التي تغطي أجساد المتظاهرين الآخرين والرجل الذي كان الطبيب يخيط له الجرح في الشارع جعل الأمر واضحًا بالنسبة لي. هذه ليست مظاهرة سلمية، بل معركة لاستعادة بلد تئن تحت وطأة ٣٠ سنة من نظام استبداديّ. خرج المصريون إلى الشوارع ليبقوا فيها؛ فالغضب أخضع الخوف الذي ربما يكون قد أعاقهم عن مواجهة الشرطة أو حتى مجرد التظاهر فيما قبل. لقد صاروا يحملون الآن الحجارة، واستولوا على العربات المدرعة وبدا أنهم يستعيدون بلادهم من جديد.

هل هي ثورة؟

كانت إجابتي لتكون بالنفي، لولا أن قوات الشرطة مع بداية الليل بدأت في الانسحاب من الشوارع وفُرض حظر التجول وظهرت عربات الجيش في شوارع القاهرة. لو أنني سُئلت لقلت إنه من المستحيل أن يتدخل الجيش قبل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع على الأقل. لكن الجيش نزل إلى الشوارع بالفعل ليثبت ما لم يستطع أن يقرّه الرئيس مباشرة: أن الشعب قد انتصر في أول معركة ضد النظام.

كان الإنترنت لدينا في المكتب يعمل، ومعنى ذلك أننا نتحمل مسئولية أكبر لكسر حاجز التعتيم على المعلومات. قضيت الجزء الأكبر من تلك الليلة في مقابلات إعلامية مع محطات تلفزيونية حول العالم. سألني أحد المعلقين ما إذا كنت خائفة من رد فعل الأجهزة الأمنية وانتقامهم. لم يكن لديَّ جواب، كانت الجملة الأولى التي قفزت إلى ذهني أن أجهزة الأمن لن تقلق بشأن مراسلة صحفية واحدة. لم أملك الوقت لأفكر في هذا السؤال إلا بعد أيام. أما الآن، فنحن لدينا ثورة يجب أن نكتب أخبارها.

الجمعة ٢٨ من يناير
نادية العوضي

«روحوا اخلعوا الدكتاتور ده»

صباح آخر أقضيه في بيت والدي. صباحات كثيرة. كل صباح. قلبي مقبوض. يتجمع بعض الأصدقاء في بيت والدي الذي لا يفصله عن ميدان التحرير سوى ٢٥ دقيقة مشيًا. أشعر كما لو أني أغادر المنزل لألقى حتفي، ويتكون عندي شبه يقين أنني لن أعود إليه اليوم. يقف أبي بشعره ولحيته الرماديين اللذَيْن يُنيران وجهه القمحيّ ويخبرنا: «روحوا اخلعوا الدكتاتور ده يلَّا»، بينما أغلق أنا وأختي ـ ابنتاه الوحيدتان ـ الباب من خلفنا.

دعا المصريون الغاضبون من وحشية الشرطة ضد المتظاهرين في يوم ٢٥ من يناير ليوم غضب في ٢٨ من يناير بعد صلاة الجمعة، وتم تحديد عدة مساجد في المدينة كنقاط لانطلاق المظاهرات. ذهبت إلى الجامع الأزهر. لم يتوقع أحد حجم ومدى تظاهرات ٢٥ من يناير، ولكن هذه المرة كانت الشرطة جاهزة للمتظاهرين ومصممة على عدم السماح لهم بالوصول إلى ميدان التحرير، فوضعت كردونات

في جميع أنحاء المدينة لفصل مجموعات المتظاهرين ولمنع أيٍّ منهم من الوصول إلى التحرير.

في ميدان العتبة واجهتْ قوة كبيرة من الشرطة مسيرة الأزهر، وبدأت على الفور في استخدام قنابل الغاز المسيل للدموع والرصاص المطاطي ضد المتظاهرين لمنعهم من التقدم. بقينا أنا وأروى محاصرتَيْن لبعض الوقت، ولكن في نهاية الأمر تسللنا خارج الكردون الأمني لنلتقي مع مجموعة أخرى من المتظاهرين. سرنا مع هذه المجموعة قليلًا ثم قررنا أن نذهب لنرى ما يحدث في التحرير. كان الميدان خاليًا من الناس فيما عدا الحضور الأمني الكبير. مررنا بالتحرير بعد أن ادّعينا للشرطة أننا نريد أن نذهب لبيوتنا. بمجرد وصولنا إلى الكورنيش، رأينا قوة كبيرة جدًّا من الشرطة تحتل كوبري قصر النيل مانعة المتظاهرين من عبور النهر للوصول للتحرير. لمدة ساعتين متواصلتين سمعنا صوت طلقات نارية ورأينا سُحبًا متصاعدة من الغاز المسيل للدموع. لم يكن بإمكاننا رؤية ما كان يحدث على الناحية الأخرى، فقررنا أن نقوم «بتخريمة» أطول قليلًا سيرًا على الأقدام حتى نصل للناحية الأخرى. توقفنا في طريقنا عند مستشفى جامعة القاهرة؛ حيث رأينا رجلًا مُصابًا إصابة خطيرة بالرصاص في صدره. أخبرْنا الطبيب الذي أتى به للمستشفى أن هناك شخصين آخرين وصلا للمستشفى جثتين هامدتين. سارعنا بالخروج من المستشفى وانضممنا إلى مسيرة كبيرة كانت متوجهة لنفس الاتجاه الذي نقصده. عند وصولنا إلى قصر النيل، كان المتظاهرون قد أحرزوا تقدمًا كبيرًا واستولوا على سيارتَيْ نقل تخصان الشرطة. ولكن سقط العديد من المتظاهرين ضحايا لذلك ما بين قتيل وجريح.

انضممنا إلى المجموعة في محاولتها عبور كوبري قصر النيل إلى التحرير، وتم إغراقنا بالغاز المسيل للدموع. نكتشف أننا في مقدمة الصفوف على كوبري قصر النيل وأن كل ما يفصلنا عن الأمن المركزي هو ثلاثة صفوف من المتظاهرين فقط. ساد الظلام. كان كل ما يمكننا رؤيته هو الدخان الأبيض للغاز المسيل للدموع يتصاعد أمامنا في سحب منذرة بما هو أسوأ. كان بإمكاننا سماع الضوضاء المتواصلة لصفارات عربات الأمن المركزي مختلطة بصوت طلقات نارية لا تتوقف. منذ اليوم الأول، كنت أنا وأروى نذهب إلى كل مكان وكلتانا متشبثة بذراع الأخرى حتى لا نتوه من بعضنا البعض وسط الجموع. فجأة، اختفت صفوف المتظاهرين الثلاثة التي كانت في المقدمة ولمحت قوات الأمن المركزي على بُعد أمتار قليلة منا وبنادقهم مصوبة إلى أعلى.

وقعت قنبلة مسيلة للدموع أمامي أنا وأروى، والتفتنا فوجدنا أخرى وراءنا تمامًا وقد أطلقت سحابة من الدخان الحمضي. لثانيتين، شَلّنا الخوف أنا وأروى في مكاننا تمامًا؛ نحن على كوبري، لا يوجد مجال للهرب سوى للأمام أو الخلف، والجري لليسار أو اليمين لا يعني سوى السقوط في النيل والموت المحقق. كنا نغطي وجهينا بالإيشاربات لنتقي شر الغاز بقدر ما نستطيع. تصرخ أروى: «اجري!». أهرب من الشرطة وأعبر سحب الغاز البشعة التي تتصاعد من خلفنا. ولكن الجري يعني حاجتي إلى التنفس بعمق، والتنفس بعمق يعني أنني سوف أستنشق الغاز المسيل للدموع. عندما أتنفس، أشعر وكأن حلقي يحترق بفعل الأحماض، وعندما أحاول كتم أنفاسي وأنا أجري، أوشك على السقوط والغياب عن الوعي. أستمر في

الهرب ودقات قلبي تتسارع. أروى تتشبث بالحقيبة التي أحملها على ظهري بيدها، وباليد الأخرى تمسك برقبتي. لا أجد نَفَسًا لأخبرها أنها تخنقني، ولا يوجد وقت لأرفع يدي وأبعد يدها عن رقبتي. عقلي يدرك تمامًا أنها تعاني ولكن ليس بمقدورها أن تفعل شيئًا بخصوص هذه المعاناة. أخشى أن تقع؛ لذا أستمر في المضيّ قدمًا حتى أبتعد بنا نحن الاثنتين عن الدخان.

ابتعدنا عن الدخان على كوبري قصر النيل وتنفسنا أخيرًا هواءً بلا دخان. تؤلمنا رئتانا وحلقانا. أنحني على الأرض ممسكة بركبتي واللعاب يتساقط من فمي. أسمع أروى تخبرني: «أنا هاموت يا نادية.. هاموت». أرفع نظري فأجد محمد غفاري ـ وهو صحفي شاب وصديق لي سبق أن تسلق معي جبل سانت كاترين عدة مرات ـ ينظر لي بعطف ويخبرني: «معلهش». أهز رأسي ولسان حالي يقول: «أنا مش مصدقة اللي بيحصل». يغيب محمد عن ناظريّ، ويقدم لي أحدهم زجاجة البيبسي التي كان يحملها حتى نزيل أنا وأروى أثر الغاز المسيل للدموع من على وجهَيْنا؛ وهي إحدى النصائح التي وجهها إلينا المتظاهرون التونسيون قبل أيام، واتبعناها بالفعل في امتنان.

في نهاية الأمر توجهنا إلى الجهة الخلفية من فندق سميراميس إنتركونتننتال حيث كانت المعارك على أشدها بين المتظاهرين والشرطة. في نفس الوقت، كان المتظاهرون قد نجحوا في فك الحصار عن ميدان التحرير واحتلاله. قضينا أنا وأروى معظم الليلة في تصوير المعارك التي شهدتها وزارة الداخلية. تعرض المتظاهرون ـ بما فيهم نحن ـ لإطلاق الرصاص والقنابل المسيلة للدموع بدون

توقف. عندما تمكنّا في النهاية من الإفلات من منطقة القتال، وجدنا ميدان التحرير وقد احتله المتظاهرون بالكامل، ومبنى الحزب الوطني الديمقراطي مشتعلًا، وعدة دبابات جيش تحاول دخول منطقة وسط البلد. باستثناء المنطقة المحيطة بوزارة الداخلية، لم يكن هناك أثر للشرطة. كانت سيارات الشرطة وعرباتها تحترق في المناطق المحيطة بالميدان، وكان مبنى الحزب الوطني يُنهب. مشينا أنا وأروى إلى المنزل بعد أن حل الظلام التام على المدينة، ولكننا بالرغم من ذلك كنا نشعر بالأمان. عرفنا فيما بعد أن العديد من أنحاء القاهرة كانت قد شهدت أحداثًا مماثلة؛ حيث تم إحراق أقسام الشرطة، واختفت قوات الشرطة كاملة من شوارع المدينة بين يوم وليلة، كما كانت هناك عمليات هروب من السجون، وبدأ نهب وتخريب العديد من المحال.

الجمعة ٢٨ من يناير
محمد الدهشان

بدون عنوان

بدون عنوان لأنه لا عنوان يفي هذا اليوم حقه.

لم يكن لأحد أن يتوقع أو يستعد لليوم. أبدًا. كان اليومان الماضيان هادئين نسبيًّا، شاركت في بعض المظاهرات الصغيرة في الأماكن المعهودة ـ نقابة الصحفيين ونقابة المحامين ومبنى التلفزيون. بالأمس استغليت فرصة عمل المرافق الحكومية فذهبت إلى المجمع للحصول على تصريح سفري للعمل بالخارج، والذي تأخر كثيرًا ـ لكن مع كل ما يحدث الآن، لا أظن أنني على استعداد للذهاب إلى أي مكان..

كنت طوال الأسابيع الماضية أتذمر من تأخر تصريحي هذا، ولكن عندما فكرت في الأمر، وجدت أنه لو أنني غادرت مصر الشهر الماضي لكانت مظاهرة الثلاثاء قد فاتتني! ربما ينبغي عليَّ إرسال خطاب شكر لوزارة الداخلية وتلك «الجهات الأمنية» غير ذات الاسم على عدم كفاءتها.

قضيت الأمس كذلك في الميدان. أجريت حوارًا مطولًا مع صحيفة

بريطانية، وأتبع ذلك لقاء مع قناة الجزيرة الدولية. كنت متوترًا لكنه مر بسلام. رفضت استخدام اسمي كاملًا كما أفعل على الإنترنت. انتهى اليوم بعشاء مع صديق صحفي وصل لتوّه إلى المدينة.

اليوم.. دنيا مختلفة. وتعجز الكلمات عن التعبير عن كل ما رأيته وما ينتابني من مشاعر عند التفكير فيه. سأحاول على أية حال.

مشيت في الصباح بضعة كيلومترات حتى وصلت إلى متجر للمعدات الرياضية، حيث سألت عن نظارات بحر للحماية من الغاز المسيل للدموع: «يا ريت حاجة رخيصة وشفافة». لم أتوقع رد البائع: «آه.. علشان المظاهرات؟ زمايلك كلهم اشتروا النوع ده».

أوقفت تاكسي أراد سائقه أن يضاعف الأجرة للذهاب إلى التحرير. شتان الفارق بين ذاك وسائق يوم الثلاثاء! توقفنا عدة مرات في الطريق إلى هناك - لا سيما عند ميدان رمسيس حيث أجبر الناس شاحنتين تقلان جنود شرطة على الانسحاب تحت سيل منهمر من الحجارة. مررنا بقسم الأزبكية، رأيت الضباط والجنود - بعضهم بالزي الرسمي - واقفين فوق سطح القسم ويلقون الحجارة وقنابل الغاز على المتظاهرين من ارتفاع ثلاثة طوابق. كان الأمر يفوق الخيال، وتمكنت من تصوير فيديو قصير يثبت ذلك قبل أن يعميني الغاز فأنسحب مكملًا طريقي.

في النهاية طلبت من السائق أن ينزلني على الكوبري قبل منزل التحرير حتى يستدير عائدًا. مشيت نزولًا إلى الميدان.

فورًا، أدركت أنني في قلب ميدان المعركة.. أو معركة الميدان.

كانت الشرطة تقف على ناحية من الطريق، بينما وقف المتظاهرون على الناحية المقابلة وظهرهم لفندق هيلتون رمسيس.

بينما كنا نحاول تفادي القذائف المتنوعة التي كانت الشرطة تمطرنا بها ـ قنابل مسيلة للدموع وحجارة في معظمها ـ كان الناس، سبحان الله يزدادون ثقة وثباتًا، ثم كانوا يردون بالمثل، وفي بعض الأحيان كانوا يلتقطون القنابل وهي ملتهبة ويعيدونها لأصحابها.

يزداد إطلاق الغاز المسيل للدموع.

تخبرني صحفية فرنسية التقيتها بالصدفة أن الغاز المسيل للدموع الذي يستخدمونه في فرنسا أخف كثيرًا من الذي يستخدمونه ضدنا هنا. أصدقها.

تسللت إلى فندق هيلتون رمسيس وألقيت نظرة على المدينة من الطابق الثاني عشر، بدت كميدان معركة. ولا أعني فقط السحب البيضاء للغاز المسيل للدموع وتلك السوداء والرمادية للإطارات المحروقة التي كنت أراها أينما نظرت وحسب، ولكن أضف لذلك العشوائيات التي يُشار إليها مبالغة بـ«المساكن» الشعبية وهي لا تعرف من السكن والسكون شيئًا، والتي تكاثرت وامتدت في جميع أنحاء القاهرة، من قلبها حتى أطرافها. ذكرتني هذه العشوائيات بالدمار الذي رأيته في بيروت بعد حرب يوليو ٢٠٠٦ مباشرة: هذا الرمادي القبيح، والسقوف المهدمة جزئيًا أو (في حالة القاهرة) مبنية جزئيًا. لا فارق، حوائط الطوب الأحمر والغياب التام لأي تناسق أو تناغم.

طحنتنا حربنا لعقود، ولكننا لم ندرك ذلك إلا لاحقًا..

قررت أن أنضم لصديقتي ضياء التي تعمل بوكالة أنباء وكانت قد وصلت للقاهرة لتوِّها. بالإضافة لدواعي الصداقة، كان لديَّ دافع أنانيّ بحت لمصاحبة صحفيين محترفين: أردت أن «أفصل» أو أبتعد ولو لفترة وجيزة من الأحداث التي أنا جزء منها، فأرى الدنيا بعيون الصحفي المراقب لبضع ساعات، واضعًا سدًّا من الحرفية الباردة بيني وبين محيطي. لست مبالغًا لكني أقسم بالكريم إني خفت على نفسي من تلك التقلبات النفسية ـ من الإحباط الشديد إلى الفرحة العارمة وعودة إلى الإحباط... خفت ألا يحتملها قلبي.

سامحوني على ضعفي.

نجح الأمر على أية حال. التقيت مع ضياء وعدنا إلى الشارع وانضم إلينا اثنان من المصورين. مررنا بميدان التحرير ثم عبرنا إلى الجهة الأخرى من النيل من على كوبري أكتوبر حيث حضرنا صلاة العصر، ثم عبرنا كوبري قصر النيل عائدين إلى الميدان مرة أخرى. كان الكوبري قد انفتح لتوِّه وقد شاهدنا من على الجسر المقابل محاصرة المتظاهرين من ناحيتَي الكوبري والهجوم عليهم بالغاز المسيل للدموع والرصاص المطاطي الذي كانت الشرطة تطلقه من سفنها من النيل. كنا نمشي بمفكراتنا وكاميراتنا، فكان الناس يأتون إلينا تلقائيًّا ليرونا لافتاتهم وجروحهم والرصاصات والقنابل المسيلة للدموع التي تم ضربهم بها.

حيث اعتاد العشاق ـ الحبّيبة ـ الوقوف متأملين الأضواء التي تعكسها مياه النيل وممسكين بأيدي أحبائهم، كان الناس يتشبثون بسور الكوبري، محاولين أن يلتقطوا أنفاسهم عوضًا عن سحابات

الغاز التي استنشقوها رغمًا عنهم، ممسكين بأيدي من انقطع نَفَسه وانهار مغشيًّا عليه.

ماذا فعلوا بقاهرتي؟ ماذا فعلوا بنا نحن؟

حوالي السادسة مساء بدأت الشرطة في الانسحاب. كان ميدان التحرير والشوارع المحيطة به قد تحول إلى منطقة خالية من الشرطة منذ ساعات، ولكن كان ذلك الاختفاء المفاجئ غريبًا جدًّا. لم يبد لنا كانسحاب ولكن كإعادة لنشر القوات.

مشينا في شارع الشيخ ريحان المؤدي للبرلمان، منحنين مسرعين وسامعين لأزيز رصاصات لم أعرف لو كانت مطاطية أو ذخيرة حية. لم أكن متلهفًا لأن أعرف. اختبأنا خلف كشك حراسة صغير حيث وجدنا شابًّا ينزف من جراء إصابة بالرصاص المطاطي ويتنفس بصعوبة بالغة، وصديقه مذعورًا يسند رأسه ويحاول أن يطمئنه ويدفعه للتجاوب كما الأفلام ـ هنجيب أفكار منين يعني؟ لسنا جنودًا ولا نعرف كيف التعامل مع المصابين بالرصاص. أخبرنا الشابان أنهما كانا على الخطوط الأولى من المواجهة، في نهاية الشارع عندما فاجأتهم الشرطة. لم نقدر على المساعدة أكثر من مسح دماء الفتى. تركناهما بعدما أصرَّا على البقاء بمكانهما.. أدعو الله أن يكونا اجتازا الليلة بسلام.

على كورنيش النيل، كان هناك عدد من شاحنات الشرطة المشتعلة في عرض الطريق. بعد قليل، وعلى مدار تلك الليلة سيصبح ذلك مشهدًا متكررًا لكنه لم يفقد من قوته وتأثيره مع التكرار. لم أملك سوى الابتسام إزاء عدد الناس الذين كانوا يلتقطون الصور للعربة المحترقة بهواتفهم.

ولكن الحدث الأبرز تلك الليلة هو إحراق مبنى الحزب الوطني الديمقراطي.

شاحنتا الشرطة كانتا تحرسان البوابتين الرئيسيتين للمبنى، وكانت كلتاهما ـ الشاحنتان ـ مشتعلتين، بالضبط في اللحظة التي قررت فيها التقاط صورة لإحدى الشاحنتين، انفجرت ـ الصورة طلعت مغطاة بضوء أبيض باهر لا يمكن تمييز تفاصيل ما خلفه من سطوع الانفجار. ورأيت أشخاصًا يخرجون من المبنى حاملين كل ما استطاعوا أن يأخذوه. بالطبع كانت عملية نهب المبنى قد بدأت منذ فترة، ولكن لم يكن اختفاء معظم الأشياء ذات القيمة ليحول دون استكمالهم لعمليات السلب!

خرجوا حاملين مقاعد وأجهزة تكييف نصف محترقة. لا بد وأن أحدهم قد سطا على المطبخ أيضًا؛ حيث خرج حاملًا خمس كرتونات من اللبن.. منزوع الدسم تحديدًا. وقام آخر بسرقة علبة تحتوي على مصاحف صغيرة ـ ثم بدأ في توزيعها على المارة، وأعطاني أحدها.. هل آخذ مصحفًا مسروقًا؟ يا ترى ربنا رأيه إيه في الموضوع ده؟ في النهاية أخذت المصحف، خفت عليه من الرمي.

قررت أن أعبر البوابات المشتعلة. كانت جميع السيارات الموجودة في الموقف تشتعل. أمر مذهل، مخيف. كان الناس يحاولون فتح صناديق السيارات بالقوة بعصيّ معدنية لينهبوها. التقطتُ بعض الصور للصوص في وسط عملهم.. لكن لم يبدُ عليهم أيّ اهتمام بذلك.

أمر يفوق الخيال..

من الممكن أن أكتب حتى الصباح لكني سأختم بقصة المتحف المصري. في الساعات التي تلت انسحاب الشرطة وسبقت وصول الجيش، الذي كان انتشاره بطيئًا للغاية، والذي أعطى الأولوية القصوى والوحيدة ولساعات لمبنى التلفزيون الذي يقع على ما لا يزيد على ٣٠٠ متر (وكان الناس يهتفون ويُهلّلون لقواته) - تُرك المتحف بدون حراسة. فقام فريد جرجس - مهندس في الأربعينيات من عمره؛ يبدو متألقًا في بذلته المكويّة بالكرافتة والصديري التمام بالرغم من كل الفوضى المحيطة - بتنظيم الدفاع عن المتحف بصحبة مجموعة من المتطوعين. أخبرني أن «مصر مش بغداد، وعمرها ما هاتكون بغداد».

أخبرني أحد المتطوعين، يبلغ من العمر ٢٦ عامًا، عن سبب وجوده هنا: «في داهية الفلوس»، مشيرًا إلى ماكينة الصرف الآلي القريبة والتي تم نهبها. «الفلوس هايطبعوا غيرها. إنما المتحف؟! ده تاريخنا». واتخذ المتطوعون مواقعهم، وفعلًا قبضوا على أحد اللصوص وانتظروا حتى يُتم الجيش انتشاره بداخل فناء المتحف، ولكن حتى بعد دخول الجيش، لم يتحرك الحراس المتطوعون من أماكنهم لساعات عدة.

كانت الساعة تقارب الثالثة بعد منتصف الليل عندما توجهتُ للبيت.

الجمعة ٢٨ من يناير
أميرة صلاح أحمد

كَـرٌّ وفَـرٌّ

بدا الأمر أشبه بالمعجزة عندما وجدنا الإنترنت يعمل في مكتب «دايلي نيوز إيجيبت» صباح يوم ٢٨ من يناير. كان النظام قد أمر بقطع خدمة الإنترنت عن كل شركات الإنترنت، باستثناء واحدة اسمها نور. تلك الشركة الصغيرة الغامضة لم يسمع عنها معظم مستخدمي الإنترنت في مصر، وحتى في المكتب، كنا نستخدمها كخط احتياطي. اكتشفنا فيما بعد أن تلك الشركة تقدم خدمة الإنترنت للبنوك والبورصة وبعض الفنادق الكبرى. لا أعرف لماذا تركوها، ولكنها كانت السبيل الوحيد الذي تسربت عبره أخبار مصر للعالم الخارجي.

كنا يوم الجمعة، مما يعني أن نصف المحررين فقط كانوا في المكتب. أنا ورانيا وداليا كنا على استعداد للانضمام إلى المظاهرات إذا حجب عنا الإنترنت كما كان متوقعًا، ولكن عندما وجدناه يعمل، بقينا بالمكتب لتلقّي أي أخبار من الصحفيين والمراسلين والأصدقاء في أنحاء الجمهورية على الهاتف الأرضيّ.

عند غالبية الناس، تكونت ذكريات هذا اليوم عن المعارك المجيدة على كوبري قصر النيل، والكرّ والفرّ من قوات الأمن في شبرا حتى تغلبوا عليهم، والاختباء في حارات إمبابة ومطاردات وسط البلد ـ كل هذا وسط سيل من قنابل الغاز المسيل للدموع ووابل من الرصاص. ولكن يومِي كان مختلفًا تمامًا. أشعر بالاستياء لأنني كنت مقيدة بالمكتب أحرس الهاتف في يوم شكّل علامة فارقة في ثورة مصر، بينما حقيبتي تحت المكتب محشوة بكمامة وبصل ومياه غازية وإيشارب على استعداد لتجربة لم أتمكن أبدًا من خوضها. ولكن في نفس الوقت، نشر الأخبار عن الوحشية التي تم التعامل بها مع الثوار كان نصرًا شخصيًّا لي. على الأقل تلك هي الطريقة التي نظرت بها للأمر.

بدأت بإخبار الجميع أننا لدينا إنترنت في المكتب (غالبًا بنفس حماس الرجل الذي اكتشف النار وجرى ليخبر جميع أصدقائه!)، ودعوت من يريد أن يأتي لاستخدامه. كما طلبت عبر «تويتر» من الصحفيين الميدانيين والمواطنين أن يوافونا بآخر المستجدات، فجاءتني كمية هائلة من الردود قمت بنشر ما جاءني منها من مصادر موثوقة.

بعد صلاة الجمعة، خرج المصريون إلى الشوارع وهزت هتافاتهم البلد بأسره. هنا بدأت المكالمات تتوالى. احتفظت ببعض الملاحظات التي كتبتها بعصبية وأنا أتلقى آخر الأخبار عبر الهاتف. ورغم أنني لم أنزل إلى الشارع ولم أشارك بشكل مباشر، كنت أعرف ما يجري في المناطق الرئيسية في أنحاء الجمهورية. الصورة الكاملة كانت مرعبة بحق.

بعض الملاحظات التي كتبتها ذلك اليوم

- المعادي، مظاهرة على الطريق الزراعي متجهة إلى دار السلام، ٢٠٠٠ شخص على الأقل، غياب أمني.

- إمبابة، قنابل الغاز في الأزقّة. آلاف المتظاهرين محاصرون، يختبئون في الشوارع الجانبية. فوضى في كل مكان. يكسرون الرصيف ويقذفون قوات الأمن بالحجارة، الأمن يفرق المتظاهرين ويغلق مداخل العجوزة. الأطفال تختنق والناس في الشرفات تلقي بصلًا ومياهًا للمتظاهرين. اشتباك مع الطوق الأمني في ميدان الكيت كات.

- ميدان طلعت حرب، محاولة لدخول التحرير وسط مطاردات قوات الأمن، يضربونهم في كل مكان، دماء وإصابات عديدة، الغاز المسيل للدموع في كل مكان. اعتقالات عشوائية. صعوبة في التنفس.

- مصطفى محمود، عشرات الآلاف يمشون باتجاه شارع جامعة الدول، شارع البطل أحمد عبد العزيز. غياب الأمن. يدعون الناس في الشرفات للانضمام لهم. الناس تنضم لهم. الأعداد تتضاعف. بميدان الجلاء تقابلهم قوات الأمن، بالغاز المسيل للدموع. تفريق المتظاهرين. إصابات واختناقات. منزل يحترق، مدرعة أمن مركزي تحترق وأخرى تحوم بشكل محموم تطلق قنابل الغاز.

- الإسكندرية، الآلاف في الشوارع. لا أرى نهاية المسيرة من أعلى المبنى، نُدافع عن أنفسنا ضد رجال الأمن المركزي، نخترق صفوف الشرطة. نتقدم.

ـ المئات في إدفو يتظاهرون لأول مرة، بعد الصلاة طالب الناس بالتظاهر السلمي، الأمن يطوقهم.

ملاحظات كتبتها لاحقًا تلك الليلة

ـ العجوزة، غاز مسيل للدموع وقنابل مولوتوف بالقرب من مسرح البالون، الناس تحرق إطارات السيارات. فوضى. إلقاء زجاجات وتكسير سيارات، تمزيق ملصقات الحزب الوطني.

ـ التحرير، بالقرب من المتحف. إغلاق الشارع، محاولة إحضار الجيش إلى الشارع، الدخان يتصاعد من وراء المتحف. سيارات الإسعاف تمر بعد تحقق المتظاهرين من عدم وجود الذخيرة بداخلها. آلاف الناس في كل مكان. الناس تحتضن رجال الجيش في الشوارع الجانبية، يؤدون صلاة العشاء فوق الدبابات، ويهللون: «الجيش والشعب إيد واحدة».

أخذ الصحفيون يهرولون داخل المكتب غارقين في الغاز المسيل للدموع، بعضهم مصاب، ونظراتهم توحي بمزيج من الغضب والغيظ والتحدي والخوف.

كانت تلك أولَ ليلة يُفرض فيها حظر التجول، بعضنا قرر عدم المخاطرة بالعودة للمنزل. يمكن القول إننا نمنا في المكتب ولكننا لم نذق طعم النوم ليلتها؛ ليس فقط بسبب ارتفاع نسبة الأدرينالين في الدم. كنا قلقين وخائفين على أصدقائنا الذين ما زالوا في الشوارع، بالإضافة إلى دويّ الرصاص في كل مكان حولنا دون أن نعرف من أين. في نفس الوقت، كان مبنى الحزب الوطني يحترق ويُنهب. انتشر الجيش

في الشوارع، ورغم حظر التجول المفروض، بقيت الناس تتجول في التحرير. تلقينا كمًّا هائلًا من المكالمات من وسائل الإعلام العالمية. تبادلنا الرد على المكالمات؛ تحدثت مع برنامج إخباري في الهند وآخر في كندا بينما تحدث زملائي مع وسائل الإعلام في كل العالم.

لم يكن هناك وقت للنوم، كان وقت نقل الحدث الذي يتابعه العالم أجمع. لم نكن مستعدين لحفلة مبيت مرتجلة. انتشرنا في غرف متفرقة بالمكتب، ولكن الكراسي نفسها تكون غير مريحة أحيانًا للجلوس. نمنا على سجاجيد صلاة قديمة لم تحمنا من برودة الأرض. وجدنا بعض المناشف الكبيرة بالصدفة في المكتب مهداة من إحدى شركات الدعاية. كانت كبيرة ذات لون أصفر زاعق يصعب تحمله مع أحداث اليوم الأليمة، لكنها منحتنا بعض الدفء على الأقل.

زاد من صعوبة الليلة بُعدنا عن أُسرنا وبيوتنا. ولكن مكالمات أصدقائي وأقاربي ووالدي وإخوتي، وكل من كان لديه نمرة هاتف المكتب ـ كانت مطمئنة ومنهكة في نفس الوقت. الناس تسأل عن حالنا والرد الوحيد الذي أملكه همهمة غير مسموعة.

عندما تكومنا معًا على الأرض فيما بعد، انفجرنا في ضحك هستيري؛ ثم سمعنا اللصوص يجولون الشوارع يبحثون عن غنائم وصوت إطلاق النار في الأرجاء، وما يبدو كصوت انفجار أو اثنين، وتحوّل الضحك إلى دموع صامتة.

السبت ٢٩ من يناير
سارة السرجاني

معارك ولصوص

للثورة ضريبة..

في صباح السبت بدا كما لو أن يوم الجمعة لم ينته بعد، ليس بسبب الطبيعة التاريخية المحتملة ليوم يمكن أن يوسم بأنه اليوم الذي انطلقت فيه الثورة، لكن لأنه لم تكن هناك ثمة نقطة ينتهي عندها يوم الجمعة ليبدأ يوم السبت. ولأن محرري الصحيفة وكُتابها كانوا قلقين من حظر التجول، الذي قوبل بتجاهل على نطاق واسع، وأغراهم توفر الإنترنت من داخل المكتب في ظل انعدام الاتصال، فقرروا أن يقضوا الليل في المكتب.

في السابعة صباحًا، حينما انتهى حظر التجول، كانت شوارع القاهرة خاوية كالمعتاد، لكن التدفق المروري بدأ ببطء؛ إذ كان سكان القاهرة قد حبسهم حظر التجول والخوف من اللصوص طوال الليل. توقف كثيرون عند الكوبري لينظروا غير مُصدقين إلى عشرات عربات الجيش والدبابات المصطفة في ميدان رمسيس.

جعل هذا المشهد المخيف الجميع يدرك أن شيئًا قد تغير؛ كانت هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أرى فيها دبابات مصطفة في وسط القاهرة. كانت إحدى الدبابات تقف خارج العمارة التي أسكن فيها. لم أستوعب الحدث؛ كنت ألتقط الصور في أي وقت أرى فيه عربات الجيش تمر عبر الشوارع.

لم أشعر بدفء السرير كما شعرت يومها، لكني لم أستغرق في النوم أكثر من ساعة، فقد كان المستشفى مكانًا أوجب بالزيارة حتى أطمئن على الإصابة في رأسي قبل أن أرجع إلى الشارع من جديد. أنا بخير، أما بالنسبة لهذه الثورة الوليدة فقد كانت هناك العديد من الأمور على المحك.

تم نشر قوات الجيش يوم الجمعة ولم يتضح ما إذا كانت ستدعم النظام أم ستحمي الشعب من وحشية الشرطة. وقد أقسم المصريون على العودة إلى الشوارع بعد أن قال الرئيس في خطاب يوم الجمعة إنه بصدد تشكيل حكومة جديدة، بدلًا من التنحي مثلما طالبوه.

وبينما كانت المدينة تتحسس طريقها لتحصي المتظاهرين الذين سقطوا قتلى وجرحى، اتضح أن الجيش لن يتدخل، وهكذا استمر عشرات الآلاف ممن انطلقوا إلى التحرير منذ صباح يوم السبت في مسيراتهم عبر الشوارع دون أن تهاجمهم قنابل الغاز أو الذخيرة الحية.

كانت المنطقة القريبة من وزارة الداخلية فقط هي التي شهدت أشد المعارك دموية وسقط فيها قتلى كان يجرى حصر أعدادهم. كان الحماس الذي طغى على اليوم السابق لا يزال محسوسًا ويزداد بقدر زيادة أعداد المتظاهرين في الشوارع. في طريقي إلى المكتب،

توقفت أكثر من مرة لألتقط صورًا للمسيرات التي تهتف بسقوط النظام. وخارج قسم شرطة الأزبكية الذي يقف محترقًا الآن كان المتجمهرون يفتشون في وثائق أُخذت من المبنى المحترق.

ظهرت المسيرات بالقرب من التحرير، حيث سار آلاف من المتظاهرين ما بين الدبابات المصطفة هناك وبالقرب من مبنى التلفزيون. فرض الجيش حظر تجوال مبكر في الرابعة عصرًا، لكن المتظاهرين كانوا لا يزالون يهتفون بسقوط مبارك في قلب الليل. رأيت متظاهرين يحملون جثة من ميدان التحرير إلى مبنى التلفزيون كدليل على الفظائع التي ارتُكبت على بُعد أمتار، لكن إعلام الدولة كان عازمًا على تجاهلهم، حتى برغم وقوفهم على أعتاب مبنى التلفزيون.

قضيت ليلتي أتحدث إلى وسائل إعلام من مناطق مختلفة حول العالم، وفي أي وقت كنت أنتقل إلى القنوات التلفزيونية الحكومية كنت أرى مشاهد تُظهر شوارع القاهرة وقد خلت من المتظاهرين. لكن بالنسبة للمتظاهرين لم يكن تجاهل إعلام الدولة ولا حتى التشهير بهم ليثنيهم عن هدفهم. ومع رؤية صور المشرحة وقد امتلأت بجثث المتظاهرين، أدركوا أنهم بالفعل يدفعون الثمن، وأنهم يستحقون جني ثمار ثورتهم.

السبت ٢٩ من يناير
نادية العوضي

اختفاء الشرطة

بعد ما شهدناه جميعًا من أحداث يوم الجمعة ٢٨ من يناير، أعتقدت خطأ أننا خلال ساعات سنسمع خبر استقالة الرئيس حسني مبارك. كنت مخطئة. استيقظت في بيت أبي الأقرب للتحرير من بيتي، وقررت أن أعود إلى بيتي في شارع الهرم. لم يكن هناك أي أثر للشرطة. كان الجيش حاضرًا بقوة في بعض المناطق وبأعداد صغيرة في مناطق أخرى. كان شارع الهرم ينتمي للمناطق التي تمتعت بحضور عسكريّ قويّ. كان نهب وحرق المحال التجارية قد استمر طوال الليل. رأيت ثلاثة ملاهٍ ليلية وقد احترقت ونُهبت، بالإضافة إلى عدة مقاهٍ ومخبز شهير. اصطفت دبابات الجيش في الشارع، بحيث ترى دبابة كل ٢٠٠ متر. ولكن بالرغم من كل ذلك، لم يسترع الأمر انتباهي كثيرًا.

اليوم سأذهب إلى السوبرماركت لأنني كنت أُخطط لقضاء إجازة وأردت أن أتأكد من أنه سيكون هناك طعام في المنزل عندما أعود.

كنت ما زلت أتحرك وفقًا لهذه الخطة. كان السوبرماركت يعجّ بالمتسوقين الذين سمعوا بأحداث الليلة الماضية وكانوا قلقين مما يخبئه المستقبل. بدأت أخبار هروب المساجين وظهور البلطجية في شوارع القاهرة تنتشر. وبدأ الناس تلقائيًّا في تنظيم لجان الحماية الشعبية. أنهيت تسوقّي، وعبّأت المنزل بالمشتريات، واتجهت من فوري للتحرير.

كنت أتوقع أن أرى الاحتفالات تملأ الميدان، وأن يكون يومًا لا ينسى. كانت الأجواء احتفالية بالفعل في بعض الأحيان، ولكن كان للحِداد نصيب أيضًا في أحيان أخرى بينما كانت جنازات شهداء الأيام السابقة تعبر الميدان. بدأ القتال مرة أخرى في أحد أركان الميدان حيث استمرت الشرطة في الدفاع عن وزارة الداخلية. كان المتظاهرون الغاضبون من مقتل رفاقهم في اليوم السابق مُصرّين على إزالة الوجود الشرطي بشكل كامل من الميدان والمناطق المحيطة. قال البعض إن وزير الداخلية ذات نفسه كان داخل مبنى الوزارة وإن المتظاهرين أرادوا الانتقام منه. استمر القتال لساعات وبدأ المصابون والقتلى في التساقط إثر استخدام الشرطة للرصاص المطاطي والخرطوش ضدهم، بالإضافة إلى كميات مهولة من الغاز المسيل للدموع، بينما استخدم المتظاهرون الحجارة ليدافعوا عن أنفسهم. قابلت محمد غفاري في الميدان. لم تكن أروى معي يومها ولم أُرد البقاء وحدي. نسمع أنا ومحمد أن المعارك تدور بالقرب من وزارة الداخلية التي تقع خارج الميدان مباشرة. كانت الوزارة هي المعقل الأخير للشرطة المصرية، وأراد المتظاهرون إزالته.

أقوم بالتصوير من فوق ظهر شاحنة شرطة أحرقها المتظاهرون الليلة الماضية. تنهمر الطلقات النارية. يشدني محمد إلى الأسفل وينحني بدوره. أجري من الطلقات النارية. أشعر بوخزتَيْ خرطوش معدني في ظهر فخذي. ولكنني بعيدة بما يكفي فلم تتركا أثرًا. الغاز المسيل للدموع. الغاز الحمضي البشع. لا أستطيع التنفس. يا الله! أُفضّل أن أواجِه الطلقات النارية على ذلك الغاز الشنيع.

نجلس أنا ومحمد على ناصية أمام الجامعة الأمريكية على مقربة من المعارك الدائرة عند وزارة الداخلية يوم السبت ٢٩ من يناير لنلتقط أنفاسنا. كانت ساعتان قد مرتا علينا ونحن نجري من هنا لهناك، وكنا مُتعبَيْن حقًّا. طلقات نارية مجددًا. يصرخ محمد: «غطي وشِّك!»، نسمع الأزيز المعدني للخرطوش في كل مكان من حولنا. أجري نحوه وأبتسم بامتنان: «أنت بتزعق لي يا محمد؟».

الناس يتساقطون، بل ويستمرون في التساقط. يشتد القتال عند وزارة الداخلية. مع كل دفعة من الطلقات النارية، يقع عدد من الرجال ويحملهم آخرون بعيدًا. بعض أولئك المحمولين لا يحركون ساكنًا وعيونهم مغلقة وقد انسحبت الحياة منهم. لن تفارق صورة هؤلاء الرجال ذهني ما حييت. لا أعرف حتى الآن إن كانوا قد نجوا أم فارقوا الحياة في ذلك اليوم. يا رب، احفظهم واحمهم هم وأُسرهم. يا رب، طمئنّي على حالهم. عندما أفكر في ذلك اليوم، وفي أولئك الرجال، تبرز في ذهني صورة واحدة معينة: رجل في أواخر العشرينيات أو أوائل الثلاثينيات، يرتدي جاكيت أحمر ولديه شارب وشيء من الصلع. يحمله أربعة رجال. ذراعه الأيسر ملتوٍ بزاوية غريبة فوق

أذرع الرجال الذين يحملونه. عيناه مغلقتان. ما الذي حدث له؟ يا الله! ما الذي حدث له؟

بينما بدأ الظلام يحل على القاهرة، قمت بزيارة مسجد تحوّل إلى مستشفى ميداني خلف المكان الذي كان يشهد القتال، كان العديد من الجرحى يعالَجون فيه. ثم تلقيت مكالمتين؛ واحدة من أختي وأخرى من صديقتي تحثاني فيهما على الرجوع للبيت بسرعة لأنه تم فرض حظر التجول، ولأن البلطجية في الشوارع. ذُعرت، وقام ثلاثة من أصدقائي الرجال بتوصيلي إلى بيت أبي القريب من التحرير. بدأت اللجان الشعبية عملها، وكان الكثير من الرجال في الشوارع مسلحين بعصيّ خشبية أو معدنية. لم تكن هناك طريقة للتفريق بين العدو والصديق. سارعنا بالعودة، ومشينا في وسط الشوارع الخاوية طَوال الوقت حتى لا يفاجئنا أحد من حيث لا نحتسب. ظهرت مجموعة من الشباب من بعيد، لم تكن هناك طريقة لنميز ما إذا كانوا متظاهرين متجهين للتحرير أم بلطجية يبحثون عما ينهبونه أم مجموعة من الشباب يمشطون الأحياء للمشاركة في حمايتها. حثّنا الرجال القائمون على حماية مستشفى جامعة القاهرة على الدخول للمستشفى لنأمن على أنفسنا، ولكنني حثثت أصدقائي على المضيّ قدمًا. كان بيت أبي قريبًا، وكان كل ما علينا فعله هو أن نمشي بسرعة، وبالفعل وصلنا.

كان البواب معسكرًا أمام الباب المغلق، وأرانا سيفًا صغيرًا اشتراه للحماية. دعوت محمد غفاري الذي صاحبني إلى البيت؛ وهو صديق قديم للعائلة، أن يبيت معنا. لم تكن أمام محمد أية

طريقة آمنة ليرجع بها إلى بيته تلك الليلة. قضينا أنا وأبي وأختي ومحمد الليلة أمام التلفزيون، وعيوننا لا تفارق الأخبار. حثّنا محمد على البحث عن أي شيء يمكننا استخدامه للحماية في حال حاول أحدهم اقتحام الشقة أثناء الليل. أخرجنا عصيّ المشي الخاصة بأبي. وأثناء هذه الليلة، استمعنا إلى طلقات نارية وأصوات مطاردات، ولم نتمكن من معرفة ماذا يدور. أخيرًا طلع الصباح. توجهنا أنا ومحمد كلٌ إلى بيته.

السبت ٢٩ من يناير
أميرة صلاح أحمد

يوم لا يريد أن ينتهي

انتهى حظر التجول في السابعة صباحًا. تركنا المكتب في مجموعات لنذهب إلى مناطق مختلفة مُراعين أن نبقى بالقرب من بعضنا البعض. على الرغم من أنني كنت في المكتب طَوال الليل أسمع الهرج والمرج عن بُعد إلا أنني تفاجأت بشكل الشوارع في الصباح. مدينة مدمرة منهوبة محروقة؛ شظايا زجاج متناثرة، وإطارات سيارات محروقة هنا وهناك، وسيارات أخرى محروقة بالقرب من وسط البلد. واجهات المحلات محطمة والأرفف خالية. عبوات قنابل الغاز ورائحته الحارقة لا تزال عالقة في الجو والسماء رمادية بسبب الدخان وضباب الصباح.

بعد ذلك ترى مبنى متفحمًا والدخان يتصاعد منه: المقر الرئيسي للحزب الوطني، وقلة ممن يقومون بأعمال السلب والنهب يدخلون ويخرجون، وأحدهم يظهر بشكل عبثيّ حاملًا أباجورة. كنت أتساءل ماذا سيفعل بها. هل سيبيعها أو يحتفظ بها كذكرى لرمز سياسي مدمر

ومهزوم. السيارات تسير في الاتجاهات العكسية على الكباري وفي الأنفاق. حالة من الفوضى والارتباك. كنت أريد فقط الرجوع للمنزل حتى أُنهي هذا اليوم الذي لا يريد أن ينتهي.

بدا على والديّ مزيج من الرعب والراحة لرؤيتي. ربما نمت ساعة أو ساعتين. أفكار متلاحقة وحالة من الترقب منعتني من النوم. أفقت وتحدثت مع والدي حول ما يجب أن نقوم به وأنا أسترجع ما قام به التونسيون بتكوين لجان شعبية لحماية الشوارع. تذكرت سماع ذلك في الأخبار التي بدت وكأنها من زمن بعيد رغم أن تلك الأحداث وقعت في الشهر نفسه. صورة مجموعات من الشباب في الشوارع بعصيّ وسكاكين كنت أتساءل عن مدى فاعليتها. الآن جاء دورنا. كان الوقت ظهرًا والأمور ما زالت هادئة، ووالدي كان مترددًا ويطلب مني ألا أبالغ. ولكنه نزل ووجد بعض الجيران قد بدأوا بالفعل في تنظيم أنفسهم وهم يعتقدون أن الأمور ستهدأ مع المساء.

بدأت أرتدي ملابسي استعدادًا للذهاب للمكتب بالرغم من اعتراضهما. الحمد لله أنني تباطأت قليلًا لأنه في حوالي الساعة الثالثة والنصف بدأ إطلاق النار. بدأ المساجين في الفرار وموقعنا غير الاستراتيجي المطلّ على سجن طرة جعل فناءنا الخلفي أشبه بساحة قتال. استمرت المعارك حول السجن حتى الصباح.

بدأ الجميع في التحرك بسرعة. وبدلًا من الأذان، نقل ميكروفون المسجد المجاور صوت منسق اللجان الشعبية وهو يهتف آمرًا كل رجال المنطقة بالنزول فورًا إلى الشارع: «كل الرجالة والشباب اللي

في بيوتهم ينزلوا حالًا ومعاهم أي حاجة تنفع سلاح»، وظل يكررها بضع مرات حتى أطاعه الجميع. لم يكن هناك مجال للتنصل من المسئولية.

أعتقد أني سمعت كل أنواع الانفجارات تلك الليلة بلا توقف: أصوات رشاشات ومسدسات وبنادق وقنابل وفرقعات عالية استمرت لساعات. كنا نرى بين الحين والآخر سحابة من الدخان ترتفع من داخل السجن، ونسمع صوت صفارات الإنذار، ثم إطلاق نار من جديد، وإشارات ضوئية تضيء السماء في الليل لعدة ثوانٍ بشكل متكرر. لم نستطع رؤية أي شيء مما يحدث، وكان الطريق الرئيسي الذي يصل بين الكورنيش والأوتوستراد خاليًا بشكل مرعب. كنا فقط نسمع ضجيجًا وجلبة.

أصرّ والدي رغم الألم في ظهره ورجليه على البقاء في الشارع طَوال الليل، ولم يأبه لجيراننا من الشباب الذين طلبوا منه أن يستريح. ترددت الشائعات حول إطلاق سراح السجناء لإرهاب المواطنين، ثم نفوا الخبر وعادوا يؤكدونه من جديد. لم يكن أحد يعرف الحقيقة.

انقسموا إلى مجموعات صغيرة لحراسة كل بناية واتجه خمسون رجلًا - تقريبًا - مسلحون بالعصيّ والسكاكين والجنازير والهراوات لسد المدخل الخلفي للمعادي ودجلة بالمتاريس. بقيت النساء والفتيات بالمنازل والشرفات، يقُمن أحيانًا بالمراقبة لتحذير الرجال في الشارع إذا حاول أحد المارة أو السيارات نزول الكوبري. نحن أيضًا كنا نضع الأسلحة بجانبنا طَوال الوقت تحسبًا لتمكن أي بلطجي من دخول الشقة. ظلت هناك عصا كبيرة وسكين مطبخ على الطاولة

الجانبية لمدة أسبوعين على الأقل، وهي أسلحة لا تنفع في مواجهة تلميذ مدرسة فما بالك بسجين هارب؟!

كان البلطجية بالخارج يحاولون التسلل على أقدامهم، وداخل سيارات إسعاف مسروقة وشاحنات وحتى سيارات الشرطة والدراجات البخارية. بدا الكوبري خاليًا ومن الصعب رؤية الذين يحرسون المداخل إلا عن قرب، لذلك تم القبض على العديد من البلطجية تلك الليلة. وقد أبلغَنا أصدقاؤنا عن حوادث مماثلة في أنحاء المعادي، وعن معارك بين السكان وبين البلطجية واللصوص، بعضهم سجناء هاربون أو أُطلق سراحهم. لا أعرف.

في البداية لم يكن هناك أي تواجد للجيش واختفى ما تبقى من عناصر الأمن التي كانت موجودة في الصباح. في المساء، وصلت مدرعات الجيش الضخمة في طريقها إلى كورنيش المعادي وسط تهليل الناس وهتافهم. وأخيرًا، قبل صلاة الفجر بقليل توقفت إحدى الدبابات على جانب الكوبري ـ خلف بيتنا تحديدًا. مجرد رؤيتها هناك كان يبعث على الراحة، وأخذ السكان يُسلمون أي بلطجي للجيش بمجرد الإمساك به.

بالنسبة للأخبار، جاءت تقارير قناتَي الجزيرة والعربية مختلفة بشكل جذري عن قنوات التلفزيون المصري الحكومية. أنا شخصيًا تابعتها كلها لأنقل ما يحدث، لكني أحسست بالغباء فيما بعد لمشاهدتي للقنوات المحلية. أطلعت طاقم الجريدة التي أعمل بها على آخر المستجدات، مع شعور مرير لأني لست في المكتب مع بقية زملائي، ومع العلم أني لا أستطيع أن أترك أمي وأبي وحدهما.

في نفس الوقت، انهالت علينا مكالمات الأهل والأصدقاء حول العالم للاطمئنان علينا، بعضهم لم أكن تحدثت إليه منذ سنوات. فوجئوا بأصوات الأعيرة النارية القريبة؛ أما أنا فقد اعتدت الصوت - أنا التي كنت أفزع إذا أغلق أحدهم باب سيارته أو إذا انفجرت إحدى إطارات السيارات. توقفتْ دموع الخوف بعد فترة، واصطدام ركبتيّ، ولكن اليوم لم يكن لينتهي. قضيت الليلة أنا ووالدتي إما في البلكونة أو مسمّرتين أمام التلفزيون أو على الهاتف. مع طلوع الصباح، أصبح إطلاق النار أكثر عشوائية. نزلت مجموعات أخرى لحراسة الشارع وصعد والدي للبيت أخيرًا.

تمركزت الدبابات وناقلات الجنود على جانبَي كوبري طرة فيما انضمت الشرطة العسكرية للجان الشعبية التي تحرس المداخل الخلفية لتفتيش الداخل والخارج، والتحقق من هوياتهم وأنهم من سكان المنطقة.

الأحد ٣٠ من يناير
أميرة صلاح أحمد

اللجان الشعبية

ما زلت بملابسي التي ارتديتها أمس للذهاب للعمل، وهو الأمر الذي لم يحدث بالطبع. غفوت قليلًا وعندما صحوت، كان الجوّ هادئًا. في مدينة كالقاهرة، تتعلم كيف تحترم السكون، ولكن لن تدرك الراحة التي بعثها فينا الصمت ذلك الصباح.

لم أحتمل فكرة البقاء بالمنزل أكثر من ذلك، خاصة مع إحساسي بالخوف وعدم إدراكي لما يحدث بالخارج. كل ما أعرفه أنه أكثر رعبًا وخطورة من أمان الشرفة. خرجت من المنزل في طريقي للعمل ووجه أمي يزداد شحوبًا وأنا أغلق الباب خلفي. لم أستطع أن أقول لها سوى إن الوضع أصبح آمنًا وإن عليّ أداء عملي مثل بقية زملائي، ونصحتها بتخزين الماء والمواد الغذائية.

رأيت في طريقي بعض الجيران الذين لم أرهم في حياتي يحرسون المنطقة. قررت أن أترك سيارتي ومشيت لأركب تاكسي من الشارع المزدحم برجال الحراسة واللجان الشعبية الذين كانوا يسمحون فقط

بمرور عدد ضئيل من السيارات. نظروا إليّ باستغراب. ربما كنت الفتاة الوحيدة التي تخرج من منزلها في مثل هذا اليوم. قابلت أحد جيراننا؛ رجلًا في منتصف العمر يدعى رءوف. سألني عن وجهتي حرصًا منه على سلامتي. حدثني عن الليلة الماضية وعن البلطجية الذين أمسكوا بهم وعن حوادث العنف في الشوارع المجاورة وكيف ينظمون أنفسهم. أوقف لي عدة سيارات حتى استقر على واحدة بعد أن أخذ نمرة لوحة التاكسي المعدنية ورقم هاتف السائق ورقم هاتفي واتصل بالأرقام ليتأكد من صحتها ثم ودّعني.

أيقنت أنني كنت على حق عندما خرجت من البيت وإلا لم أكن لأختبر إحساس الطيبة والاهتمام من الغرباء والشعور بالترابط المجتمعي الذي ازدهر على مدار الأيام التالية. مررت في طريقي بدبابات الجيش وناقلات الجنود التي تنتشر في كل مكان. أخبرني سائق التاكسي عن محاولات عديدة للهروب من السجون ـ نجح بعضها، وعن أقسام الشرطة المحترقة، والبلطجية الذين يروّعون المواطنين بأسلحة مسروقة. الاعتقالات في كل مكان؛ أوقفوا ميكروباص به مجموعة أشخاص مفترض أنهم بلطجية ثم كبّلوهم وأخذوهم بعيدًا، ولكن لم يكن هناك مجال للتيقن من ذلك.

احترقت نقطة الشرطة على الطريق الدائري عن آخرها وتفحّمت الحواجز الموضوعة حديثًا، كما دُمّر قسم شرطة الجيزة تمامًا مع مبانٍ أخرى على الطريق. حتى الأشجار احترق بعضها وعدد مهول من السيارات إلى جانب مدرعات الأمن المركزي وسيارات الشرطة التي تحطمت.

أخيرًا وصلتُ للمكتب بعد أن أوقفتنا اللجان الشعبية عدة مرات. كانوا في منتهى التحضُّر ولكن لم يخلُ الأمر من بعض الملل بسبب التدقيق الشديد وهم يقومون بمهمتهم بشكل جدي. للأمانة كانوا هم مصدر الأمن الوحيد في الشوارع الخالية. بمجرد دخولي، شعرت بضوضاء المكتب من جديد. كنت أبدو كالشبح الذي لم يذُق طعم النوم لأسابيع. كانت ليلة مرعبة للجميع ولكن ردود أفعال أصدقائي أظهرت معرفتهم بأحداث سجن طرة حتى إنهم استغربوا أني تمكنت من الحضور. أدركت حينها أن سماع الأخبار عن حادثة ما أو مشاهدتها على التلفزيون أكثر إثارة للأعصاب ألف مرة من خوض التجربة نفسها؛ وهنا وجد الإعلام المحليّ فرصة ذهبية لإرهاب المواطنين حتى لا يتركوا منازلهم فيزيد حماس الناس من قوة الزخم في الشارع. ولكنهم لن يستطيعوا قمع تلك الأصوات التي علت في ميدان التحرير ومختلف ميادين الجمهورية ـ لا بوعود الإصلاح أو بوزارة جديدة أو حتى بالمنصب الجديد لنائب رئيس الجمهورية الذي لم أرَ أحدًا يشغله منذ ولادتي. لم أعرف في حياتي رئيسًا غير مبارك؛ جاء إلى السلطة قبل مولدي بعام وكانت فكرة تعيين نائب رئيس له أشبه بإنكاره أنه سيخلد كرئيس إلى الأبد.

الأحد ٣٠ من يناير
سارة السرجاني

جثة وحظر تجول

بدأ يوم الأحد بجثة، وانتهى بسلسلة طويلة ومرهِقة من نقاط التفتيش.

من جديد كانت الأيام تتداخل بحيث لم يكن واضحًا أيها اليوم وأيها كان الأمس. في الصباح أتتنا رسالة عبر «تويتر» بأن إحدى سيارات الشرطة ألقت جثة في المنيرة بوسط البلد. اتجهتُ مع «إيان لي»، وهو صحفي زميل من «ديلي نيوز إيجييت»، مشيًا إلى التحرير بعد أن تركنا السيارة في الزمالك. كان المتظاهرون قد أقاموا متاريس في الشارع المؤدي إلى التحرير من كوبري قصر النيل للاطلاع على بطاقات الهوية للقلائل الذين أرادوا الدخول إلى الموقع الذي صار الآن مركزًا للمظاهرات في وسط القاهرة.

في الثامنة صباحًا كان الآلاف لا يزالون في التحرير يطالبون بتنحي مبارك تحت سمع وبصر الجيش، وقد بدا من المشهد هناك أن الجميع قد أمضوا الليلة في التحرير. كان الشارع بين مجمع التحرير

والجامعة الأمريكية غارقًا بالمياه. وفي عمق شارع القصر العيني كان للجيش حضور قويّ. اصطفت الدبابات والجنود في الشارع الخالي والذي عادة يكون مزدحمًا في مثل ذلك الوقت؛ إذ يضم مجلسَي الشعب والشورى ومجلس الوزراء ويؤدي إلى وزارات عديدة منها وزارة الداخلية. كانت هناك بضع سيارات أمن مركزي محترقة على جانب الشارع تُذكّر بالصدامات التي اندلعت مؤخرًا بين المواطنين والشرطة. في شارع جانبي يلي شارع مجلس الشعب وقف ثلاثة رجال تتراوح أعمارهم بين العقدين الرابع والخامس في نوبة حراسة للمنطقة. عندما كنا هناك، كان المواطنون يراقبون كل الجوانب والشوارع الخلفية، ولا وجود للجيش باستثناء شارع القصر العيني والمنطقة المحيطة بوزارة الداخلية. أخبرنا رجال اللجان الشعبية أن سيارات خرجت من مبنى الداخلية في هذا الصباح وأطلقت النار على لجنة شعبية فأصابت أحدهم. كان تفسيرهم أن كبار رجال الشرطة ممن كانوا يختبئون منذ ليل الجمعة أو حتى قبل ذلك أرادوا الهروب لكنهم خافوا من المواطنين الذين أصبحت القوة بأيديهم الآن.

كان الشعور السائد أن أيام الفساد والتعذيب والإرهاب قد انتهت بلا رجعة. أخبرَنا أحد الرجال الثلاثة؛ وهو مسئول كبير في بنك متعدد الجنسيات، قصة الجثة؛ ألقتها سيارة تويوتا بلا لوحات لونها فضّي بالقرب من نقطة تفتيش وهربت. وعند نقطة التفتيش التالية أوقفت لجنة شعبية السيارة حيث أبرز قائدها بطاقة شرطة، أمن دولة، وقد أكد لي الرجل أنه رأى البطاقة. وبعد أن تركه يمر رأى الأشخاص الذين كانوا يحرسون نقطة التفتيش الأولى يَجْرون خلف السيارة وقالوا إنه ما كان يجب عليهم أن يتركوا السيارة تمر. كانت الجثة مصابة بطلق ناري

في البطن، وأكد الرجال عدم رؤيتهم لنزيف. لا بد أن الضحية كان قد مات قبل ذلك ثم أُطلق عليه طلق ناري للتغطية على السبب الحقيقي للوفاة ـ هكذا كان تفسيرهم. ظلت الجثة ملقاة خارج نقطة شرطة المنيرة حوالي ٣-٤ ساعات. رفضت مستشفى المنيرة استلام الجثة وقالت إنها مسئولية المشرحة، وكانوا بالفعل مشغولين للغاية بعلاج الجرحى. حينما كنا هناك غطى الأهالي الجثة بملاءة سرير، واتصل أحدهم بعد ذلك في نفس اليوم ليؤكد أن المستشفى أرسل سيارة لحمل الجثة. وقبل أن تخرج من صدري تنهيدة ارتياح أخبرني أنهم اكتشفوا جثة أخرى في شارع قريب. مثل هذه الأخبار المتزايدة جعلت بُقع الدم التي رأيناها داخل المترو الذي ركبناه حتى محطة الأوبرا منطقية.

رحلة العودة للمنزل

بعد قضاء ليلتين في المكتب، كان عليّ أن أرجع إلى المنزل. كانت أمي وحدها هناك (والدي لم يستطع أن يرجع من الإسكندرية، أما أخي فقد كان يساعدني على مدار الأيام الماضية). لم نتمكن من طبع الصحيفة يوم الجمعة بعد أن تم إعلان حظر تجوال الساعة السادسة مساء في الخامسة والنصف ـ قبل موعده بنصف ساعة. كنا نريد أن نطبعها يوم الأحد وفعلنا ذلك، ومعنى ذلك أنه كان علينا أن ننتهي منها في الثالثة والنصف عصرًا بحيث نسلمها إلى المطبعة في أسطوانة مدمجة يدًا بيد لأن المطبعة لم يكن لديها اتصال بالإنترنت. بالنسبة لشخص يعمل دائمًا تحت ضغط مواعيد التسليم الدقيقة كان يوم الأحد هو الأكثر تحديًا بالنسبة لي؛ طبعنا الصحيفة واسترجعنا

موقعنا الإلكتروني وقمنا بتحديثه بالأخبار التي حصلنا عليها من كل مكان في العاصمة. لكننا غادرنا المكتب بعد الساعة الخامسة عصرًا؛ كانت اللجان الشعبية قد بدأت تتخذ أماكنها قبل ذلك بأكثر من ساعة.

سار بعض الرجال من شارعنا أمام السيارتين اللتين أقلتا المراسلين والمحررين للخروج إلى الطريق الرئيسي. وهناك ركب الشخص الذي كان يدير اللجنة الشعبية ـ وهو طبيب ـ في سيارتنا ليسهّل مرورنا. كانت هذه المنطقة هي الأكثر تنظيمًا من بين ما رأيت في ذلك اليوم. وبينما كنا نتوقف عند كل نقطة تفتيش في كل زاوية كان هذا الطبيب يعطي تعليمات لرجال اللجنة. تم استخدام نظام جديد ولون جديد لعصابة الرأس في تلك الليلة، فقد كان لزامًا تغيير نظام الحراسة لتجنّب الدخلاء.

كان كوبري السادس من أكتوبر خاليًا بصورة غريبة، وجاءتنا النصيحة أن نسرع في طريقنا. أما طريق صلاح سالم فقد كانت تنتشر عليه وحدات الجيش والحرس الجمهوري، بحيث إن نقاط التفتيش وتحويلات الطريق بدت كأنها بلا نهاية. وبالنسبة للمنطقة المؤدية للقصر الرئاسي والمحيطة به فقد كانت تغلقها الدبابات تمامًا. وبمجرد الدخول إلى مصر الجديدة كانت اللجان الشعبية تسيطر على الشوارع. الخوف لا يتملكني بسهولة لكن عدم معرفة ما نتوقعه مع عملية الحراسة والتفتيش جعلنا متوترين. لم يكن لدينا طريقة لمعرفة مَن يحرس نقطة التفتيش التالية؛ كل منطقة لها شفراتها الخاصة ونظامها وكنا مضطرين للتواؤم مع ما يطلبون، وكان أهم شيء هو إضاءة صالون السيارة والسير ببطء. ومن المفهوم بالطبع أن

بعض الرجال ممن يقفون في هذه اللجان لليلة الثانية أو الثالثة على التوالي كانوا متوترين أيضًا؛ ظن أحدهم أن من حقه أن يعنفنا بسبب بقائنا خارج البيوت حتى هذا الوقت المتأخر؛ كانت الساعة تشير إلى السابعة مساء. وأخيرًا وصلنا إلى المنزل، أما أصدقاؤنا في السيارة الأخرى الذين اضطروا للتوغل أكثر في مصر الجديدة فقد استغرقت رحلتهم ساعة إضافية بسبب نقاط تفتيش الجيش واللجان الشعبية.

عندما عدت إلى البيت كنت سعيدة بأن المظاهرات في التحرير تجاهلت حظر التجول الذي أصاب «المدينة التي لا تنام» بالشلل، وظل صوت الهتاف الذي يطالب مبارك بالتنحي مرتفعًا. وكان مراسلنا في التحرير يتجه إلى المكتب كي ينتهي من إعداد تقرير فيديو.

خواطر وتحليل

الآن تم تقديم موعد حظر التجول ليبدأ في الثالثة عصرًا، معنى هذا أن الشوارع لا بد أن تكون خالية قبل ذلك الموعد، وسيكون أمام اللجان الشعبية وقت أطول تقضيه في الحراسة. وقد شدد الجيش يوم الأحد على أنه جاد في فرض حظر التجول بخلاف اليومين الماضيين. لكن خلافًا لما كان يردد تلفزيون الدولة بأن الجيش سوف يتعامل بحزم مع من يخرق حظر التجول، لم يلقِ الجيش القبض على أحد؛ كانت الإجراءات مجرد تفتيش للسيارات وللسائرين على الأقدام، رغم أنه كان تفتيشًا صارمًا.

بالإضافة إلى التقارير التي وردت عن قيام مواطنين بالقبض على بلطجية، اتضح فيما بعد أنهم من الشرطة، دفعتني عوامل أخرى للاعتقاد

بأن حالة الخوف التي سادت العاصمة كانت تكتيكًا من النظام. أعمال السلب والنهب التي حدثت عقب انسحاب الشرطة يوم الجمعة كانت منطقية إلى حد ما، فقد كانت الأموال والممتلكات لا تخضع لحراسة، والناس يحتاجون للأموال. ووفقًا لمقابلات بثها التلفزيون قال أحد المتلبسين بالسرقة، وهو شخص بلا ماضٍ إجرامي، أنه وجد الآخرين ينهبون فانضم إليهم. لكن من غير المعقول بالنسبة لِلِصّ؛ وهو بطبيعته جبان، أن يرى الجميع مسلحين بهراوات وسكاكين وبنادق وأسلحة أخرى، ومع ذلك يحاول أن يشتبك معهم أو يهجم عليهم بهدف السرقة.

كانت مناطق كثيرة من تلك التي انتشرت فيها اللجان الشعبية أحياء سكنية، وهو ما يعني أن السلب سيكون صعبًا وأن لا ضمان لوجود الأموال والأشياء الثمينة، بعكس المحلات. كان النهّابون على وعي بصورة مدهشة بكل أماكن المحلات في كل المناطق كما لو أنهم درسوها وخططوا للسرقة منذ شهور؛ وهذا أمر غير منطقي أيضًا. وقد أشار البعض إلى أن كثيرًا من الناس الآن مشغولون بحماية بيوتهم أكثر من اهتمامهم بالانضمام للمظاهرات؛ وصحيح أن المظاهرات لم تضعف لكنها كانت يمكن بكل تأكيد أن تكون أقوى مما كانت عليه. سمعنا أن قوات الشرطة تعيد انتشارها بعد ثلاثة أيام من اختفائها التام. أما إذا ما كانت هذه القوات لتشتبك من جديد مع المتظاهرين فكان أمرًا في علم الغيب. لقد أسفرت الصدامات مع قوات الشرطة، خاصة تلك المتمركزة بالقرب من وزارة الداخلية، عن مائة قتيل على الأقل، والمتظاهرون لا يتراجعون.

الأحد ٣٠ من يناير
محمد الدهشان

أيوه بقى!

المحطة الأولى: بنك الدم بالقصر العيني. يضربون الناس بالرصاص. الله يلعنهم هم وأهلهم!

كان بنك الدم في القصر العيني الفرنساوي مكانًا مذهلًا. العديد والعديد من الناس جاءوا متبرعين. كثيرون.. حتى إن المكان لم يسعهم جميعًا فاضطروا لوضع أسِرّة إضافية بمدخل المستشفى! ممرض هناك أخبرني أنهم غير قادرين على حساب عدد المصابين والقتلى الذين يتدفقون طالبين النجدة. يا إلهي يا رحيم.

أعود بعدها لجاردن سيتي. ما من أحد يثور وحده، ولم أحتمل الضغط العصبي الذي سببه انقطاع أخبار أصدقائي لانقطاع شبكة الهواتف المحمولة. توجهت لمكتب جريدة المصري اليوم في شارع المبتديان والتي أكتب فيها بانتظام، لأرى إذا ما كان هناك شيء يمكنني عمله أو حدث معين أغطيه ـ كما كان لديّ بالفعل

مقالات نصف مكتوبة أردت نشرها ومشاركة القراء بها بأي طريقة. قابلت أحد زملائي صدفة فأخبرني أن الجريدة قد أقامت «مقرًّا مؤقتًا» في فندق سميراميس إنتركونتيننتال، وأن الإنترنت متاح هناك. أحمدك يا رب! لا أتذكر بقية الحديث، ولكن لم تمر نصف ساعة إلا وكنت في جناح / مكتب / مخبأ المصري اليوم، أنقل الأخبار على «تويتر».

أيوه بقى!

الأحد ٣٠ من يناير
نادية العوضي

قلـق

أنا نائمة في بيتي، وفي سريري، وحدي. أسمع دفعة من طلقات الأسلحة الآلية. صوتها مرتفع جدًّا. صوتها قريب جدًّا. بشكل غريزي، أستيقظ من نومي وأخفض رأسي في محاولة لحماية نفسي. أدرك أنه لا طائل من وراء قلقي مما يحدث في شارعنا، فلا يوجد ما يمكنني فعله عامة. أحتاج للنوم. سيكون الغد يومًا طويلًا. أعود من فوري لنوم قلق.

الاثنين ٣١ من يناير
محمد الدهشان

الاستعداد للمزيد

استيقظت في جناح جريدة المصري اليوم الذي تحول إلى معسكر - كان هناك ربما ١٠ أشخاص ينامون بالغرفة ومثلهم بغرفة المعيشة. كان الموقف مضحكًا للغاية - لا يمت للراحة بصلة.. لكنه كان مضحكًا بشدة.

اقترحَتْ عليَّ لينا أن أعمل «مرافقًا صحفيًّا» مع صحفية تعرفها اسمها «ويندي»، عملًا يتضمن المرافقة والترجمة. كنت انتهيت لتوّي من كتابة ثلاث مقالات وكنت مجهدًا ذهنيًّا.. فوافقت. إذن، فلبضعة أيام سوف أعاود الادعاء أنني «صحفي بجد».

هايل.

الاثنين ٣١ من يناير
سارة السرجاني

هل أنت مستعد؟

لقد تعدت مصر مرحلة المواجهة. نحن نعيش في عالمين، كل منهما عازم على تجاهل الآخر. من ناحية، الرئيس متشبث بالسلطة ويُجري تغييرات غير جوهرية في الحكومة، لا توصف بغير كونها تجميلية. ومن ناحية أخرى، المتظاهرون لا يعيرون ما يفعله الرئيس أيّ اهتمام؛ كل ما يريدونه هو فقط أن يرحل. ولا يتزحزح أيّ من الطرفين عن موقفه، فما العمل؟

دعت قوى المعارضة لمليونية يوم الثلاثاء ١ من فبراير. بحلول ليل الاثنين كان عشرات الآلاف قد تدفقوا إلى ميدان التحرير، وقرروا قضاء ليلتهم هناك في انتظار انضمام آخرين إليهم. لا يمكنني أن أتخيل ما الذي يفعله مبارك في الوقت الحالي، لكنني لا أظن أنه يشاهد التلفزيون الآن، وإلا لكان قد استمع مرارًا وتكرارًا للكلمة التي تتردد عبر أثير كل القنوات عدا تلفزيون الدولة: ارحل.

كانت هناك حالة مماثلة من الفصام في العاصمة. بعد مرور بضع

ساعات من حظر التجول وبينما كنت أترك وسط القاهرة لأتجه إلى بيتي لأقضي ليلتي الأولى هناك منذ يوم الجمعة ـ كنت أشعر للمرة الأولى بأنني متوترة. كان شعورًا لم ينتبني في معمعة الانقضاض العنيف لقوات الشرطة على المتظاهرين في ٢٨ من يناير. كانت نقاط التفتيش التي أقامها الجيش تحيط بالقصر الرئاسي، بالإضافة إلى اللجان الشعبية المنتشرة عند كل زاوية جعلتني أشعر كأننا في منطقة حرب. لعلها كانت حربًا أهلية، ضد عدو غير معروف ـ عرّفه البعض بأنه عصابات من البلطجية والنهّابين، بينما رأى آخرون أن العدو رجال شرطة متخفين ينفذون مخططًا لإشاعة الذعر بين المواطنين.

بدا الناس متجاهلين للمظاهرات الغاضبة التي جابت نفس الشوارع منذ أيام، وربما قد شاركوا في بعض المظاهرات قبل ذلك في النهار أو سينضمون لها لاحقًا؛ لم يكن الأمر واضحًا. بقضاء الليل في الجانب الآخر من العاصمة شعرتُ بأنني منفصلة عن الثورة الحاصلة الآن ـ لا يصاحبني سوى التلفزيون والتليفون الأرضي في اتصالي بالعالم من حولي مع استمرار انقطاع الإنترنت. لكن هذا الانفصال ماديّ وحسب لأنني كنت بالفعل أعد العدة للغد استعدادًا للمليونية ـ وأنا على يقين أن آخرين يفعلون المثل.

الثلاثاء ١ من فبراير
أميرة صلاح أحمد

المسيرة المليونية وخطاب مبارك

قرر أخي وليد أن يأخذ أول طائرة من الدوحة للقاهرة رغم أنني طلبت منه مرارًا ألا يأتي: «هتيجي تعمل إيه يعني؟ الدنيا هِديت خلاص واللجان الشعبية شايفة شغلها كويس أوي، وإحنا كويسين، دي حتى الموبايلات رجعت تاني». ولكنه لم يسمعني، أراد أن يتأكد بنفسه ويشارك في المظاهرات ويَطمئنّ علينا. أنا شخصيًّا أعرف أربعة على الأقل فعلوا الشيء نفسه؛ رجعوا إلى أهلهم في مصر ليشهدوا الثورة معهم.

اتصل بي لاهثًا قبل موعد طائرته يسألني عن النقود والأغذية المعلبة التي يجب عليه إحضارها. ضحكت وأخبرته أن لدينا من الطعام ما يكفينا لأشهر وأن لا أحد يريد أن يأكل من الأساس، كما أن والدتي قد ملأت الثلاجة عن آخرها وقامت بتخزين الدقيق تحسبًا لتدهور الوضع أكثر. لم تكن تعرف كيف تخبز ولكني أعتقد أنها قررت أن تتعلم إذا اضطرت لذلك، فهي تمتلك العزيمة لتفعل ما تريد.

عُدت لمنزلي يوم ٣٠ من يناير بعد حظر التجول بقليل. كنت أذهب إلى العمل وأعود منه مع طاقم المعادي ـ شابّان من زملائي بالعمل قاما بدور الملاك الحارس لي طَوال تلك الفترة. لم يتركاني أذهب لأي مكان بمفردي، نذهب للمكتب معًا وننتظر حتى نعود سويًّا، وفي معظم الأيام كنا نقضي بضع ساعات في التحرير قبل الرجوع للبيت. أدركت أن الاشتراك في سيارة واحدة للذهاب للعمل أو ركوبنا المترو هي وسائل مريحة جدًّا وفعالة وتحافظ على البيئة أيضًا. لماذا لم نفعل هذا من قبل؟ هذا مثال بسيط على العادات والسلوكيات المثالية التي اعتادها الناس في تلك الفترة؛ كانت أشبه بالعيش في المدينة الفاضلة.

في البيت كنا ننتظر وصول أخي. من المفترض أن تهبط طائرته بعد حظر التجول. لا بد له أن يسلك الطريق الدائري أو الأوتوستراد حتى يصل للمعادي، وهي المنطقة التي أصبحت مسرحًا لحوادث العنف وقُطّاع الطرق وإطلاق النار العشوائي في الليل، إلى جانب انتشار أفراد الجيش الذين قد يقررون فجأة اعتقاله لخرق حظر التجول. تأخر بالطبع ولم يكن هاتفه يعمل ولم يتصل بنا عند وصوله. اتصلنا بالمطار فأكدوا لنا هبوط الطائرة بسلام. مرت ثلاث ساعات كاملة ولم يصل للبيت. كنت على وشك أن أتصل بأصدقائي القريبين من المطار للبحث عنه، وفكرت أن آخذ سيارتي لأبحث عنه بنفسي، ولكننا قررنا الانتظار. وأخيرًا وصل بعد عدة ساعات مؤلمة قضيناها في قلق. قال إنه تأخر بسبب نقاط تفتيش الجيش واللجان الشعبية والحواجز والطرق الملتفة والطرق المغلقة. بعد السلام الخاطف وتناوله وجبة سريعة، نزل مع والدي ليتعرف على اللجان الشعبية بالمنطقة ويأخذ موقعه معهم.

في الصباح التالي، أخذت وليد معي إلى المكتب ومعنا غطاء ولحاف. كان هذا الثلاثاء أول مليونية بالتحرير وقد انقطع الإنترنت عن مكتبنا في «دايلي نيوز إيجيبت» وانقطعنا نحن عن العالم. جرّبنا الدخول على الإنترنت عن طريق التليفون. بحثنا عن بدائل؛ فكر وليد أن بإمكانه عمل وصلة بالقمر الصناعي ولكننا كنا نحتاج مودم من نوع خاص. لم يكن لديّ أي فكرة بما أنني لست خبيرة بالتكنولوجيا، فظللنا نسأل لساعتين متصورين أن بإمكاننا حل المشكلة ولكن بلا فائدة. كان الجميع يبحثون عن نفس الشيء والمَحالّ كلها مغلقة. شعرنا بالإحباط قليلًا ولكن «عسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم». كان انقطاع الإنترنت يعني أن بإمكاننا أخيرًا أن نترك مكاتبنا وننزل للشارع.. نخلع ثوب الصحفي ونثور مع بقية الناس.

مرة أخرى، قرارات الحكومة تدفع الناس إلى الشوارع في تحدٍّ من أعمالهم سُلط عليهم. أحيانًا تكون ممتنًّا لغباء الآخرين. مشتْ مجموعة كبيرة منا، بل سرنا في مسيرة بالدقي إلى أقرب محطة مترو حيث تجمعنا مع الآلاف لنغزو كوبري قصر النيل. مررنا بنقاط التفتيش واللجان التنظيمية، حتى وصلنا إلى طوفان الخلق في ميدان التحرير. في الطريق، كانت روح الإصرار والوحدة جامحة بشكل مُعدٍ. كانت صورة مثالية بحق.

الشمس مشرقة والسماء صافية أكثر من أي وقت مضى لأن حجم التلوث أقل بفضل تحديد حركة المرور وتراجع دخان المصانع. جو صحو احتفاليّ. حشد ضخم يضم المصريين بجميع فئاتهم؛ المقاومة في أرقى صورها.

استقبلونا بالهتاف والأناشيد كما لو كنا ثوارًا! الأبطال المعتصمون في الميدان لأيام يرحبون بالوافدين الجدد الذين يحملون معهم إمدادات الماء والغذاء كما لو كانوا أبطالًا. كلما زاد العدد زادت البهجة والقوة وفُرص النجاح.

أينما نظرت كنت أرى وجوهًا صديقة، وجوه ناس أعرفها وغرباء مألوفين ـ سياسيين ومشاهير وفنانين. كان من الصعب معرفة الأعداد بالضبط، ولكن يكفي أن أقول إنه كان أكبر حشد أنضم إليه في حياتي، واستغرقني الأمر بعض الوقت حتى أطمئن في حضن الجماهير العريضة. كان أكثر الأماكن أمنًا على وجه الأرض، حتى عندما تمرق الطائرات المقاتلة فوق رءوسنا، وتعلو الهتافات الغاضبة لتدوّي بصوت الرعد، ويعتصر المكان الضيق الرجال والنساء لإخلاء الأماكن للصلاة فيمكنك بالكاد أن ترى الرصيف. وعندما ترتفع اللافتات فجأة لتنمّ عن ذكاء وجرأة وخفة دم أصحابها الذين يطالبون بإسقاط النظام: ساخرة ومضحكة وصارمة وعدائية وحقيقة واقعة: «مش حنمشي، هو يمشي».

بقينا بالميدان طوال اليوم. تجوّلنا، وتحدثنا مع الناس، والتقطنا الصور، ودردشنا مع الأصدقاء. كنا بالفعل بعد موعد حظر التجول فجمعنا أشياءنا وأكلنا شيئًا سريعًا وذهبنا بينما بقي الآلاف في التحرير. ولكن بعيدًا عن الميدان، كان التنقل أصعب أثناء الحظر. ذهبنا إلى منزل صديقتي سارة في الدقي الذي أصبح ملجأ للصحفيين والناشطين والمصوّرين من شتى الفئات. تحت ضغط الإرهاق الشديد وعدم معرفتنا بما يجب فعله ـ نبقى أم نذهب ـ قررنا أن

ننفصل. توجّه كل منا إلى مناطق قريبة من وسط البلد، وكان المشي أو التخييم هناك أسهل من الذهاب للمعادي. ذهب أربعة منا إلى المكتب وحاولنا النوم لنستريح قليلًا، ولكن الجوّ كان باردًا وأبعد ما يكون عن الراحة؛ فأصرّت صديقتي هبة التي لا تبعد عنا كثيرًا أن نقضي الليل بمنزل عائلتها. كنا مترددين لأننا لا نريد أن نفرض أنفسنا خاصة وأنها لم تكن تعرف كل المجموعة لكننا كنا فعلًا في حاجة للراحة.

رحّبت بنا عائلتها الكريمة وقاموا بواجب الضيافة بشكل مذهل. كنا نشعر وكأننا في بيتنا. كنا ننتظر خطاب مبارك المخزي بفارغ الصبر. نقول إنه بمجرد أن يستقيل سنسرع إلى التحرير للاحتفال، ونحن سعداء أننا قريبون من هناك بحيث نذهب سريعًا عندما يحين الوقت. كنا ساذجين في اندفاعنا وفرحنا بما أنجزناه.

ظهر وجهه الشاحب على الشاشة محاولًا التظاهر بالقوة.. ولكنه بدا عجوزًا ومنهكًا ومنفصلًا عن الواقع. كان يحاول في خطابه استعطاف الناس إلا أن كلامه جاء جافًا وخاليًا من أي إحساس. كل حرف نطقه كان صفعة على وجوهنا. جاء خطابه ليزيد الفجوة بين الثوار والمتعاطفين معه، ويقسم الرأي العام فورًا.

من الواضح أننا كنا سُذجًا للمطالبة بتنحيه لأنه ـ ألم نكن نعلم؟ ـ «لم يكن ينتوي» أن يبقى رئيسنا على أي حال. هو فقط ملتزم بإنهاء فترته الرئاسية ليتنحى بعد أشهر قليلة ويترك الطريق لانتخابات حرة ونزيهة. ما هذا الحديث المخبول عن رغبته في البقاء في الحكم؟ هو متعب بعد ثلاثين عامًا من الحكم ويتمنى الرحيل. لم يكن يخطط

للترشح للرئاسة فلمَ الجلبة؟ يا لَسخافتنا! نحن مجموعة الجاحدين الذين نسوا تضحياته في الحرب وحفظه الاستقرار لعشرات السنين.

ماذا يمكن أن نطلب أكثر من أمان زائف مرتبط بدكتاتور عجوز! تركيبة الخطاب نفسها تنمّ عن أن كاتبه مسخ داهية وشرير وملاوع. كان تأثيره فوريًّا. أشرع سيفًا مسمومًا من المشاعر، بينما نكاد نسمع نسيجَ الوطن وهو يتمزق. بعد نهاية الخطاب جاءتني مُكالمتان على النقيض تمامًا ـ واحدة من أبي وأخرى من أمي. أمي انطلت عليها الخدعة. كانت مقتنعة أن المتظاهرين لا بد أن يتوقفوا الآن عن التظاهر ويعودوا لبيوتهم لأنه سيتنحى بعد انتهاء فترته: «همّ كام شهر ييجوا إيه في تلاتين سنة؟ كفاية بقى، ومبروك أوي على كدة. ده في حد ذاته إنجاز». لحسن الحظ كان هذا سوء تقدير مؤقتًا منها ولم يستمر الأمر أكثر من اثنتي عشرة ساعة لتعود لرشدها. ولكنه كان مؤشرًا لما شعرت به نسبة لا يُستهان بها من الشعب أغلبهم لم يعدلوا عن رأيهم سريعًا كأمي. أما أبي الذي كان في نوبة حراسته مع اللجان الشعبية فقد أطلق عبر التليفون سيلًا من الشتائم واللعنات على مبارك. فطن أبي (وهو بطل حرب) للتكتيك، ونصحنا بأن نستعد للمعركة. كان يرى أن الخطاب بمثابة إعلان حرب من مبارك الذي لن يتوانى عن اقتلاع ميدان التحرير وتسويته بالأرض بمن فيه حتى يبقى في السلطة.

انقسمت الآراء في الغرفة التي نجلس فيها، وبين أفراد العائلة، وحتى بين زملائي في العمل. بعد ذلك رأيت بوادر ما سيحدث على قناة الجزيرة الإنجليزية عندما كان صديقي المنتج آدم وفريقه يعملون على إذاعة تقريرهم من الإسكندرية: صور مقلقة لمشاحنات

في الميدان الذي توحّد فيه الآلاف من قبل مطالبين بالتغيير؛ هم الآن متحفزون وكلٌّ منهم مستعد للحرب في سبيل ما يؤمن به. في خلفية الشاشة رأيت رجلًا يُخرج عِصيًّا من وراء بعض الشجيرات في الميدان ويعطيها لآخرين ثم انطلقوا لتفرقة المتظاهرين. انسحبت دبابات الجيش وعادت بعد ذلك. إما أنهم لم يكونوا يعرفون ماذا ينبغي فعله أو تعمدوا السماح بحدوثه. سرعان ما تغير الجو في الميدان بالإسكندرية.

في التحرير هدأت مجموعة كبيرة وعادوا لمنازلهم تاركين قلة في الميدان. دعا أوباما السلطات أن تتوقف عن استخدام العنف ضد المتظاهرين السلميين. تمكنوا بطريقة ما من التلاعب بمشاعر الناس وتعبئتهم ضد الثورة ليجدوا مَن ينوب عنهم في أعمالهم القذرة.

الثلاثاء ١ من فبراير
سارة السرجاني

المليونية

تم قطع الإنترنت عن المكتب الليلة السابقة؛ لقد كنا نستخدم خدمة الإنترنت الوحيدة المتاحة في مصر خلال الأيام القليلة الماضية لكنها انقطعت أيضًا. كان من المُحبِط ألا نكون قادرين على إصدار الصحيفة، سواء على موقعنا على الإنترنت أو مطبوعة. لكن من ناحية أخرى كانت تلك فرصة جيدة لأكون مواطنة مرة أخرى.

غادرنا المكتب في الصباح واتجهنا نحو ميدان التحرير، كانت تلك أول دعوة لـ«مليونية». لم أكن متأكدة أن المتواجدين وصل عددهم لمليون.. لكن التحرير كان ممتلئًا بمتظاهرين من جميع الأطياف. كان البعض يحملون صورًا لأفراد من عائلاتهم قالوا إنهم قُتلوا في الأيام السابقة. وحتى ذلك اليوم لم أكن أدري أن إمبابة شهدت إطلاق نار عنيفًا. أُطلق على هذا اليوم أيضًا اسم «يوم الرحيل». ظل المتظاهرون يهتفون «ارحل»، مطالبين مبارك بالتنحي. كانوا غاضبين، لكن في ذلك اليوم انطلقت أول شرارة للحياة في

ميدان التحرير. لن نتظاهر ونحتج ونرفع اللافتات الساخرة فحسب، بل سنغنّي أيضًا. ومن ثَمَّ تم نصب منصة للمتظاهرين بحيث يتمكن مَن يرغب في إلقاء كلمة أو أغنية مناسبة للحدث. استمعت إلى أغنيتين وطنيّتين قبل أن أغادر في المساء.

في تلك الليلة شاهد المتظاهرون مبارك على شاشة نُصبت في الميدان، خرج ليتحدث أخيرًا واستمرت نغمة خطابه القديم. مبارك منفصل عن مطالب الناس. وبينما كان مبارك يعدّد في خطابه منجزاته فقد بدا كأنه يتحدث إلى بلد آخر أو من عالم آخر: زعم أنه الرجل الوحيد الذي يحول بين مصر وغرقها في بحر من الفوضى التامة. لو أنه اهتم حقًا بهذا البلد واستقراره لتخلّى عن منصبه، لكنه كان لديه ثلاثون عامًا من الأساليب التي طالما استخدمها في مثل هذه المواقف: يمكن للمتظاهرين التنفيس عن غضبهم، كما كان الحال مع الصحفيين، ومنحهم هامش حرية ليعبروا عن آرائهم الناقدة. لكن هذا لا يعني بالضرورة أن أحدًا ينصت لما يقال أو أن أي مطالب يُلتفت إليها. بالنسبة لي كصحفية فلقد عشت في ظل هذه السياسة طَوال فترة عملي. ربما لو أصرّ المتظاهرون وكان صوتهم أعلى، ستصبح هذه السياسة غير مجدية. في منزل أصدقاء لي يطل جزئيًا على التحرير أمكنني سماع الهتافات الغاضبة للحشود بمجرد أن أنهى مبارك خطابه. واستمرت المعركة من أجل نَيْل الحرية.

في أول الليل، قبل بثّ الخطاب بساعات وقفنا في صف طويل أمام أحد المطاعم بالقرب من التحرير. المصريون بإمكانهم الوقوف بانتظام في طابور! معجزة! وبينما ذهب أحد الأصدقاء ليحضر علبة

الكشري (وجبة التحرير المعتمدة)، جلست على الرصيف وإلى جانبي ولد لا يزيد عمره على ١٤ عامًا. فتح الولد علبة مكرونة صغيرة لا يزيد حجمها على كفّ يده. ولما رآني متعبة عرَض عليَّ اقتسام هذه الوجبة الصغيرة، التي كانت على الأرجح هي كل ما يمكن أن يوفّره لنفسه. قلت له لا أريد وشكرته وسألته إن كان يريد أيّ شيء فقال: لا. بينما كان يتناول مشروبًا. أردتُ أن أقتسم طعامي معه لكنه غادر المكان قبل أن تأتيني وجبتي.

شعور الإخاء هذا الذي لا يعترف بقيود السن ولا الطبقة الاجتماعية ولا الدين، هو ما أثلج قلبي تلك الليلة. كانت روح التوحّد هي التي أثبتت أن شيئًا ما قد تغيّر، ولا يهم ما يقوله مبارك.

المعركة من أجل الديمقراطية مستمرة.

الثلاثاء ١ من فبراير
محمد الدهشان

«لم أكن أنتوي»

ثمانية أيام من المظاهرات. شاركت من اليوم الأول ولم يفتني يوم. وما زلت أبكي من التأثر. تحوّل الشعار ببطء من «الشعب يريد إسقاط النظام» إلى «الشعب يريد إسقاط الرئيس»، والليلة تزايد ليصل إلى «الشعب يريد خلع الرئيس» ـ المصريون يزدادون قوة.

إنه يوم مبهج. يعجّ ميدان التحرير بالناس للدرجة التي يصعب معها المشي. المشهد من فوق ـ أسعفني الحظ بأن أتمكن من الوقوف في شرفة أحد زملائي في الطابق الحادي عشر من فندق سميراميس ـ رائع. لا موضع لقدم في الميدان. المكان الوحيد الذي رأيت فيه هذه الحشود الغفيرة كان في الحج، ولكن الجموع الموجودة في الميدان أكثر ألوانًا، وأكثر فوضوية؛ فالناس يتحركون في جميع الاتجاهات، والبعض يقفز والبعض الآخر يقف ويهتف. الكثير يتعانقون. يهتف أحدهم مهنئًا: «مبروك!»، فيرد عليه مَن هو أكثر حذرًا: «لسه شوية»، ولكن الأجواء بلا شك أجواء احتفالات بالنصر، وكأننا في مباراة كرة

قدم، حيث تتقدم على منافسك بأربعة أهداف - حينها تعرف أنك قد انتصرت حتى قبل النهاية الرسمية للمباراة.

ذهبت إلى المستشفى الميداني بالميدان، والتي أُقيمت في مسجد في زقاق خلف الميدان. قابلت عم أحمد هناك (رجل كبير يرتدي سترة وردية متسخة) متكئًا على عمود ويتلقى العلاج من ارتفاع الضغط. فقد عم أحمد ابنه إسلام البالغ من العمر ٢٦ عامًا بعد أن راح ضحية رصاصة من الشرطة اخترقت قلبه ورئته منذ ثلاثة أيام مضت، ومن وقتها لم يغادر الميدان. قال: «ماحدش يعزّيني! أنا مش ماشي إلا أما آخذ حقي!».

هناك، على أرضية المسجد الذي تحوّل إلى مستشفى، بكيت بدون توقف. احتضنته وقبّلت رأسه وقلت: «عم أحمد، إحنا كلنا ولادك». قبّلني على كتفي. عانقني طبيب متطوع من سني وقبّلني على جبهتي. عناق من النوع الذي يُثبّت قلبك أو يهوي به.

ثم، ومرة أخرى، جرعة من الفكاهة في الشارع. نحن شعب غريب، لا يمكن فهمه. لم يزل الشاب الذي يحمل لافتة «امشي بقى إيدي وجعتني» موجودًا. رأيت آخر يحمل لافتة بالعِبْري يخبر فيها مبارك أنه عليه أن يرحل - وكان بها خطأ نحويّ بالمناسبة.

والآن بينما أكتب هذه الكلمات، يخطب مبارك على التلفزيون: «لم أكن يومًا طالب سلطة أو جاه»، ويتحدث عن «الانتقال السلمي» ويُسهب: «لم أكن أنتوي الترشح لفترة رئاسية جديدة». بَلا كدب بقى جاتك القرف. إنه يضمن استمرارية نظامه وحسب. كان الناس في التحرير - مئات الآلاف - يشاهدون الخطاب أيضًا، ولم يعجبهم:

«ارحل! ارحل! مش هانمشي.. هو يمشي!». تُصر المعارضة على ألا تتفاوض مع الدولة إلا إذا رحل مبارك. ولكن حتى في هذه الحالة، لا يوجد لدينا ما يضمن أن نصل إلى ما وصلت إليه تونس ـ فالحزب الوطني سوف يظل على قوّته، والتي قد تقل عن ذي قبل ولكن ليس كثيرًا، في المشهد السياسي المصري. ولم يكن ذلك ما كُنا نحن ـ الشعب ـ نطالب به.

على العموم الحرب لم تنتهِ بعد. إحنا وراك والزمن طويل يا مبارك.

الأربعاء ٢ من فبراير
سارة السرجاني

موقعة الجمل

خَلق خطاب مبارك ليلة الثلاثاء انقسامًا في الشارع بدا واضحًا صباح يوم الأربعاء. الذين كانوا في التحرير قالوا إن دماء مَن سقطوا الأيام الماضية تمنعهم من مغادرة الميدان. قالت لي إحدى الناشطات هناك: «في دم بينّا وبينه»، في إشارة للثأر الذي يزيدون أخذه من مبارك لأجل الذين قُتلوا في المظاهرات. وقالوا إن مبارك أعطى وعودًا فقط، ولم يتخذ قرارات. لكن بالنسبة لمن كانوا خارج الميدان فإن الرئيس قدم تنازلات غير مسبوقة، ويجب أن تعود الحياة إلى طبيعتها. غير أن مخاوفنا من هذا الانقسام تبددت مع منتصف اليوم: الشوارع التي امتلأت بتأييد للمتظاهرين لثمانية أيام ـ باستثناء أولئك الذين أرادوا العودة إلى عملهم كي يتمكنوا من توفير قوت عائلاتهم ـ امتلأت فجأة بهتافات «يعيش مبارك!». قال لي رجل قابلته على الكوبري في بداية هذا اليوم: «أيوه إحنا عايزين المظاهرات دي تنتهي بقى، لكن أنا عمري ما أهتف علشان مبارك».

وبينما كنت أغادر التحرير، شعرت للمرة الأولى منذ يوم ٢٨ من

يناير بأنني لا آمن على نفسي هناك. كان الناس في الخارج يصرخون، لا يتناقشون. من بين هؤلاء أقسم رجال حليقو اللحية وسيدات بكامل مكياجهن يرتدين ثيابًا نظيفة إنهم كانوا في التحرير - لكن على الجانب الآخر كان مظهر الوجوه التي يغطيها التراب بين المتظاهرين داخل الميدان يثبت العكس. قالوا إنهم بعد الاستماع إلى خطاب الرئيس غادروا الميدان. علا صوتهم بأن على جميع مَن في الميدان أن يفعلوا مثلهم.

رأيت بعد ذلك سيارة نقل تحمل متظاهرين مؤيدين لمبارك وهي تتجه إلى وسط البلد. كان المشهد يحمل ذكريات الانتخابات، حينما كانت المصانع التي تديرها الدولة تُرسل موظفيها ليصوّتوا لصالح مرشحي الحزب الحاكم. لكن ما كنت أظنه في البداية مجرد مظاهرات مستفزة اتضح أنه هجوم منظم لرجال شرطة بملابس مدنية وبلطجية على مَن كانوا معتصمين في ميدان التحرير لثمانية أيام. كان الهجوم وحشيًّا، أكثر من يومَي الجمعة والسبت. كان التحرير منطقة تخلو من أي مواد تصلح كأسلحة، فقد أراد المتظاهرون الحفاظ على احتجاجهم سلميًّا. كان المتظاهرون غير مسلحين فأحاطت بهم الحجارة والطوب، لكنهم اضطروا للرد لحماية أنفسهم. وتطور الأمر حينما دخل مؤيدو مبارك على ظهور الأحصنة والجمال واستخدموا زجاجات المولوتوف، فسقط مئات الجرحى والقتلى. أصيب مراسلنا؛ محمد عفت، الذي كان يزوّدني بالأخبار عبر الهاتف بينما كنت أقوم بتحديث موقعنا على الإنترنت وعلى «تويتر» (كانت المفارقة هي رجوع الإنترنت صباح اليوم). ارتاح محمد قليلًا لكنه بعد ذلك تقدم للصفوف الأمامية. كان أملي أن تكون مذبحة يوم الأربعاء هي آخر حيلة في جعبة دكتاتور يهمّ بالهرب - أو هكذا دعوت بينما كنت أشاهد الأحداث حية على شاشة التلفزيون.

الأربعاء ٢ من فبراير
أميرة صلاح أحمد

روح الثـورة

بدأ يوم ٢ من فبراير كسحابة داكنة. أثبتت كل محاولات النوم عدم جدواها. كانوا يطاردون آدم وفريقه في الإسكندرية وكنت أتصل كل ساعة لأطمئن عليهم. استقبلَتهم إحدى العائلات في بيتها ولكن الوضع لم يكن آمنًا. كانت حياتهم في خطر بالغ.

تركنا منزل هبة في الصباح الباكر، وفي طريق عودتنا إلى المكتب رأينا مجموعة من المتظاهرين متجهين لشارع جامعة الدول للتظاهر بميدان مصطفى محمود. كانوا يحملون لافتات غريبة. صُعقت ولم أصدق ما رأيته بعينيّ على هذه اللافتات: «نعم لمبارك».

ضحكت على أول مجموعة مرت بجانبنا، ثم جاءت مجموعة أخرى وطلبت منا نحن الأربعة الانضمام إليهم. تجاهلناهم بالطبع ولكن الموضوع لم يعد مُضحكًا. كنت أحسبهم مجموعات صغيرة. لم أستطع أن أصدق أن هذا العدد قد تأثر بالفعل لينضم لتلك المظاهرات السخيفة. بعد إفطار سريع، توجهنا للبيت. ركبت تاكسي مع وليد. في

طريقنا مررنا بالجيزة حيث كانت هناك مظاهرة أكبر بدا أنها تستعد لمسيرة ما، ويحملون نفس اللافتات المؤيدة لمبارك. تصورت أنه مجرد تعبير عن تضامنهم معه - حسنًا، يمكنهم الوقوف هناك. لقد تغيرت مصر كثيرًا في بضعة أيام لدرجة أنني صدقت أن من حق هؤلاء أن يعبروا عن... فلنقل عشقهم لـ«بابا» مبارك في أحد الميادين العامة دون اعتراض طريق الانتفاضة الشعبية. ثم رأينا مجموعات أخرى مبعثرة على الطريق الدائري تحمل لافتات مؤيدة لمبارك ولكن حجمها لا يرقى بأي شكل من الأشكال للمظاهرتين السابقتين. لم أصدق نفسي، حتى أثناء الأيام الأولى للثورة لم تتوجه أية مظاهرة للطريق الدائري. الأمر كله بلا معنى. ماذا يظنون أنفسهم فاعلون؟

وصلنا للبيت. بعد عدة ساعات، كنت أشاهد التلفزيون عندما اندلعت الحرب في التحرير. في البداية تلقيت مكالمة من ياسمين التي تعمل في وكالة رويترز تطمئن عليَّ إن كنت في التحرير وتطلب مني ألا أفكر حتى في الذهاب هناك. قالت لي إنها رأت بعينيها العشرات يسقطون جرحى. كانت معركة حقيقية.

شاهدت التلفزيون. كان السخف الذي رأيته صباح اليوم هينًا مقارنةً بما شاهدته في الأخبار - كما لو كانت مشاهد من فيلم رعب بشع عن حروب العصور الوسطى. بدأتْ ما سُميت بـ«موقعة الجمل» المشينة. لن أُسرِف في الحديث عنها لأني لم أكن هناك، وحتى عندما أردت أن أذهب لأساند من يُضحّون بأرواحهم وأشارك أصحابي كفاحهم من أجل الثورة قالوا لي ألا أذهب. ولم يكن هناك مجال هذه المرة أن أُقنع أحدًا أن الأمر أكثر أمانًا مما يبدو على التلفزيون.

لم يكن خيار ترك البيت متاحًا ذلك اليوم ولا حتى لتوصيل الإمدادات الطبية إلى المستشفى الميداني. كنت أشعر بالتخاذل والعجز.

دَهَست الجمال المتظاهرين، بينما تطايرت السيوف والحجارة فوق رءوسهم. تبادل ثوار التحرير الاستشهاديون الدفاع عن مواقعهم وتأمين الصفوف الأمامية وإسعاف الجرحى. كان مجرد البقاء على قيد الحياة معجزة في حد ذاتها. لم نتوقف عن الدعاء حين رأينا السماء تشتعل بقنابل المولوتوف، ولكني لا أستطيع الحديث أكثر عن هذا اليوم لأني لم أكن هناك. سمعت حكايات كثيرة ممن كانوا هناك أو في الأرجاء، ولكني لن أكون مُنصفة إذا أعدت حكايتها لأني في نهاية الأمر كنت في بيتي آمنة وبعيدة عن مكان الحدث في حين أن الأبطال الناجين من تلك المعركة هم روح الثورة نفسها.

الأربعاء ٢ من فبراير
محمد الدهشان

يوم لم أر الجمال

هلع. هلع. ضغط. يضغطون، فنضغط بدورنا. يضغطون مرة أخرى. نقاوم. النتيجة: يبقى الأمر كما هو عليه.

مؤيدو مبارك ـ ولنطلق عليهم المباركيين اختصارًا ـ جاءوا أولًا من ميدان عبد المنعم رياض. بعد ما يزيد على ساعة ونصف من حالة من الشد والجذب والتحدي، انهمرت فجأة سيول الحجارة من شارع طلعت حرب. ذُعرنا. انسحبنا. كان بعض الناس يستصرخوننا ويتوسلون إلينا ألا نجري. ألا نهرب. ألا نستسلم. شيء في صوتهم ـ ليس تشجيعًا أو إثارة، بل هي نبرة حزن عميق تجعلنا نعود للمعركة مرة أخرى.

لا يمكننا أن نصف الوضع بـ«التشابك بالأيدي» إلا إذا كنا على الخط الأول للمواجهة، ولا أحد يختار أن يكون في هذا الموقع حقًا ـ بطريقة ما الموقع هو من يختارك: يتصدع الجمع البشري بصورة غريبة، وإذ فجأة تجد نفسك في مواجهة صف آخر من البشر. لا أعلم لماذا بالتحديد، ولكنني تذكرت بيروت الحرب الأهلية

وخطوط تماسها. ساعتها، كتب أحدهم على «تويتر» «والنبي بطلوا تقولوا عليهم المتظاهرين المؤيدين لمبارك.. دول بلطجية». وافقته.

بعد المغرب، انسحبتُ. أنا الآن في غرفة صديقي بفندق سميراميس المُطلة على الميدان. كان بإمكاننا رؤية مجموعات بلطجية مبارك وهي تخترق نقاط تفتيش الجيش في شارع الشيخ ريحان. يمشون في مجموعات من ٣٠ تقريبًا. سمح لهم الجيش بالمرور دون تفتيش. التقطت صورًا: كانت المجموعات التي كان من الواضح تمامًا أنها تستعد لمعركة، تتوقف لخمس عشرة ثانية ثم تتدافع عبر الممر الذي يحرسه الجيش. كان يمكن للجيش منعهم، أو على الأقل فعل ما كانوا يتظاهرون بفعله ـ الاطلاع على بطاقات الناس ـ ولكن لم يحدث أي من هذا. ولا شيء.

من موقعي أرى كوبري قصر النيل. المعركة حامية الوطيس هناك. شَلّال من الحجارة. الأمر مرعب فعلًا. وكوكتيلات المولوتوف أيضًا. في مرحلة ما اشتعلت إحدى الدبابات (ذكرت ذلك على «تويتر»). أكيد أنها قنبلة مولوتوف ضلت طريقها ـ فلماذا قد يريد المباركيون مهاجمة الجيش صاحبهم؟ أُطفئت النيران بسرعة. لاحقًا، بدأت الدبابة بصوتها المرعب في التحرك نحو الميدان. حبست أنفاسي ـ هل سيدخل الجيش؟

رأيت معارك بزجاجات المولوتوف تحت الفندق مباشرة. كان مشهد الزجاجات وهي تتكسر مخلّفة وراءها خيطًا من النيران مذهلًا. كان الأمر كله عبارة عن معركة عصابات بدائية. ولكن حتى المعارك البدائية يمكنها أن تكون مميتة.

بالنسبة للفندق الذي كنت فيه ـ كنت أنام في غرفة صديقي ـ فقد أُغلقت أبوابه. لا دخول ولا خروج. كانوا على الأرجح من الممكن أن يسمحوا لي بالخروج إذا طلبت منهم ذلك ولكنني اخترت ألا أفعل. بقيت مستيقظًا حتى الساعة الرابعة لأتابع وأُحدّث المعلومات الخاصة بالصدامات على الإنترنت ـ كان يمكنني سماع الطلقات النارية ورؤية الانفجارات؛ لذا حاولت أن أكتب عن ذلك، وبين الحين والآخر أتصل ببعض أصدقائي ممن كانوا لا يزالون بالميدان.

الخميس ٣ من فبراير
محمود سالم

الأجانب وأجنداتهم

مصر، الآن وهنا!

لا أعرف كيف أبدأ في كتابة هذا. أصارع الإجهاد الناتج عن قلة النوم لعشرة أيام سابقة، أتنقل بين بيوت الأصدقاء، فلم أقض ليلة في بيتي تقريبًا. أنا في الشارع، أواجه نظامًا متوحشًا ممولًا ومنظمًا يتعامل معي على أني مجرد حشرة مزعجة حان وقت سحقها. أقل ما يُوصف به الوضع هنا هو أنه كئيب.

ولكن الوضع لم يكن كذلك في البداية. ففي يوم الثلاثاء ٢٥ من يناير بدأت المظاهرات سلمية. ورغم كل التوقعات، استطعنا أن نجمع مئات الآلاف من المتظاهرين في ميدان التحرير، حتى بعد أن هاجمتنا قوات مكافحة الشغب بالعصيّ، والغاز المسيل للدموع، والرصاص المطاطي. نجحنا في تجاوز كل حواجزهم وتمركزنا في التحرير. ردت الحكومة بقطع شبكات التليفون المحمول في ميدان التحرير، وهو الرد الذي فهمناه لاحقًا عندما هاجمونا بكل قوتهم بعد منتصف الليل وفرّقوا المتظاهرين وأخلَوا الميدان. ولكن في

اليوم التالي عدنا للميدان، وفي اليوم الذي يليه أيضًا. وجاء يوم الجمعة، وتحدينا قطعهم للاتصالات، وبلطجيتهم، وغازهم المسيل للدموع، ورصاصهم، واستعدنا الميدان. ومن يومها ونحن نصارع للاحتفاظ به.

في تلك الليلة أعلنت الحكومة حظر التجول، وأخذت ساعات الحظر في الزيادة يومًا بعد يوم، حتى أصبح من ٨ صباحًا حتى ٣ ظهرًا. لم يتمكن الناس من الذهاب لأعمالهم، وأخذ البنزين ينفد سريعًا، بالإضافة إلى السلع الأساسية والنقود، حيث إن البنوك لم تفتح أبوابها منذ يوم السبت، وبالتالي لم يَصرف الناس مرتباتهم. واستمر قطع الإنترنت، مما أثر على جميع قطاعات الأعمال في مصر، وسيتسبب في انهيار اقتصادي عندما تفتح البنوك مرة أخرى. كان يتم معاقبتنا جماعيًّا لأننا جرؤنا وطالبنا بالديمقراطية والحقوق التي نستحقها. وليستمر العقاب، تم سحب الشرطة ثم إطلاقهم في زيّ مدنيّ ليُرهبونا في شوارعنا. لقد أُطلق عليّ الرصاص مرتين في هذا اليوم، مرة منهما كانت بمسدس نصف آلي أطلقه رجل في سيارة استمتعنا بعد ذلك بإمطارها بضرباتنا. أعلنت الحكومة أن كل السجون هرب منها المساجين، وأنه بطريقة ما استطاع هؤلاء المساجين أن يحصلوا على أسلحة وبدأوا في الهجوم العشوائي على المواطنين. منذ بضعة أيام كان هناك بلطجية منظمون يرتدون زي الشرطة ويُطلقون علينا النار، واليوم التالي ظهر بلطجية منظمون بدون بدلة رسمية وأخذوا يطلقون علينا النار أيضًا! لا أعرف كيف لم يربط الناس بين الاثنين.

تحمّلنا كل ذلك وقاومناه. كنا مؤمنين بأننا نقوم بالصواب، وشجعنا على الاستمرار كل مَن كانوا معنا والذين رفضوا أن يصدقوا ما كان يحدث لبلدهم. كل ما قام به النظام لإرهابنا وإجهاض المظاهرات دفع الناس دفعًا للمشاركة في المظاهرات. ففي يوم الثلاثاء الأول من فبراير، وعلى الرغم من إغلاق كل الطرق الرئيسية المؤدية للقاهرة، نجحنا في أن نكون مليونَيْ متظاهر في القاهرة فقط، و٣ ملايين في مختلف أنحاء مصر. خرجنا كلنا لنطالب برحيل مبارك. هؤلاء الناس وقفوا في وجه قسوة النظام وبطشه وأعلنوا أنهم أحرار، ورفضوا العيش تحت وطأة دكتاتورية مبارك ليوم آخر. في تلك الليلة، ظهر مبارك في التلفزيون وألقى خطابًا عاطفيًّا للغاية، فقال إنه ينوي ترك الحكم بانتهاء فترته، وإنه يريد أن يموت على تراب مصر؛ البلد الذي أحبه وخدمه. لكن بالنسبة لي ولكل المتظاهرين، لم تكن هذه الوعود كافية، فنحن نريده أن يرحل الآن. وبدأ آخرون يطلبون منا أن «نعطيه فرصة»، لأن «التغيير يحتاج وقتًا»، وكلام فارغ من هذا القبيل. هناك حتى مَن بَكوا بعد أن شاهدوا هذا الخطاب، ومنهم بعض أفراد عائلتي! لقد أشفق الناس عليه لأنه فشل في أن يكون دكتاتورنا حتى آخر يوم في حياته؛ ولأنه لم يورثنا لابنه. كان هذا خليطًا مرعبًا من متلازمة ستوكهولم وعقلية العبيد بشكل لم نشهده من قبل. واليوم استغل النظام هذا الخليط.

فاليوم، الأربعاء ٢ من فبراير، عادت شبكة الإنترنت للعمل، وبدأ الناس يتصلون بالتلفزيون ويكتبون على «الفيسبوك» مُعبّرين عن دعمهم لمبارك ودعوته للاستقرار والتغيير السلمي في ثمانية أشهر كما وعد. وتعلق هؤلاء بكلام الحكومة الجديدة بأنهم لن يؤذوا

المتظاهرين، فهم يؤمنون أنهم شباب وطنيّ طيب، ولكن في وسطهم آخرين «أشرارًا». بدأ الناس يتصلون بنا في الميدان ويطلبون منا أن نتوقف عن التظاهر حيث إننا «حصلنا على كل ما طالبنا به» ولأن «البلد تحتاج أن تعود للعمل». كان الناس يشتكون من أنهم يفتقدون حياتهم الطبيعية، يفتقدون الخروج في الليل وطلب الأكل للمنزل «ديليفيري». كانوا يحتاجوننا أن نتوقف عما نفعله حتى يعودوا لما كانوا يفعلونه قبل كل هذا. لقد غفروا كل شيء، والأسبوع الماضي كأنه لم يحدث، وحان الوقت الآن لنتوحد تحت حكم مبارك.

لكل هؤلاء الناس أقول: مستحيل! أنا آسف لأن حياتكم وأعمالكم تعطلت، ولكن المتظاهرين ليسوا السبب. فلم يقطع المتظاهرون الإنترنت ويشلوا قطاع البنوك والأعمال في مصر بالكامل؛ الحكومة فعلت ذلك. لم يفرض المتظاهرون حظر التجول الذي حدّ من حركتكم وجعل الطعام يختفي من على أرفف المحلات والبنزين ينفد؛ الحكومة فعلت ذلك. لم يأمر المتظاهرون الشرطة بالانسحاب، ولم يزعموا أن السجون تم الهجوم عليها، ولم يطلقوا البلطجية الذين أرهبوكم؛ الحكومة فعلت ذلك. إنها الحكومة نفسها التي تودون أن تعطوها فرصة ثانية، كما لو كان ٣٠ سنة من الدكتاتورية والفشل التام في كل قطاعات الدولة ليست كافية. كان العبيد مستعدين لمسامحة سيدهم ولوم هؤلاء الذين جرءوا على تحدّيه من أجل مستقبل أفضل لكل المواطنين المصريين ولأطفالهم. على كل حال، الرجل أعطانا كلمته، وهو لم يخلف وعوده بالإصلاح من قبل، أليس كذلك؟

ولكن مبارك قام بخطوة أظهرت كيف كان غباؤهم مفيدًا له ولنظامه.

لقد شاهدت في التلفزيون كيف هجم «المتظاهرون الموالون لمبارك» ـ بلطجية تقاضوا أموالًا من أعضاء الحزب الوطني بالأمر من كبار الرءوس في الحزب ـ على المتظاهرين السلميين غير المسلحين في ميدان التحرير. هجم البلطجية عليهم بالعصيّ، وقذفوهم بالحجارة، ودخلوا الميدان على ظهور الخيول والجمال وهم يضربون المتظاهرين بالكرابيج، في مشهد يُعد من أكثر المشاهد سيريالية في تاريخ التلفزيون! وفجأة بدأ الضرب بالرصاص وتطايرت قنابل المولوتوف نحو المتظاهرين المعارضين لمبارك، بينما وقف الجيش يتفرج وسمح لكل ذلك أن يحدث دون أن يحرك ساكنًا. مات العشرات وأُصيب المئات ولم يتم إرسال أي سيارة إسعاف. لم تظهر الشرطة لتُوقف هذا الهجوم على المتظاهرين لأن البلطجية الذين قَبض عليهم المتظاهرون المعارضون لمبارك كان معهم بطاقات هوية توضح انتماءهم للشرطة. كان هؤلاء البلطجية هم الشرطة، وكانوا موجودين هناك ليُطلقوا الرصاص على المتظاهرين ويقتلوهم، وحاولوا أيضًا أن يحرقوا المتحف المصري. كان الهدف واضحًا: استخدام هذه الصِّدامات لمنع أي مظاهرات أخرى بذريعة الحفاظ على أمن البلد وسلامته وتوحيد صفوف الشعب المصري. ولكن في النهاية فشلت خُططهم؛ فلقد استبسل المتظاهرون الشجعان في الدفاع عن القطعة التي حرروها من أرض مصر، ورفضوا التنازل عنها رغم كل الرصاص والقنابل التي انهالت عليهم. أدرك هذا الشباب الشجاع ما أدركناه جميعًا: أن النظام لم يعد يكترث بوضع «برقع

الحياء»، بل أظهر وجهه الحقيقي القبيح؛ أن مبارك لن يرحل، وإحراق مصر بالكامل أهون عليه من مجرد التفكير في التخلي عن السلطة.

في هذه الأثناء، كان التلفزيون الحكومي والقنوات التابعة له يذيع تغطية للمظاهرات السلمية الموالية لمبارك في مختلف أنحاء مصر، ويعرض تسجيلًا من ميدان التحرير في الليلة السابقة زاعمًا أنه بث حيّ وأن هذا هو الوضع الآن. وأخذت مئات من الشخصيات العامة والممثلين في الاتصال بالتلفزيون ليُعلنوا أنهم مع مبارك وأنه «أبونا»، وعلينا أن ندعمه للاستمرار في طريق الديمقراطية. وعلى شاشة قناة المحور، ظهرت فتاة مُحجبة تم التعتيم على ملامح وجهها تدّعي أنها تلقّت تمويلًا أمريكيًّا لتذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية وتأخذ دورات تدريبية، يُدرِّسها يهود، في كيفية إسقاط نظام الدولة المصرية بالمظاهرات. وزعمت هذه «الناشطة» أن الجزيرة تكذب، وأن الإخوان المسلمين وحماس هم فقط الموجودون في ميدان التحرير الآن. ثم بدأ التلفزيون المصري في إذاعة البيانات التي تقول إن المواطنين قبضوا على إسرائيليين وهم يقومون بالتخريب ونشر الفوضى في أماكن عديدة بالقاهرة. هذه إذن مؤامرة على مصر من أمريكا وإسرائيل وقطر والإخوان المسلمين وإيران وحماس. تخيلوا، والأنكى أن الكثير من الناس صدقوها فعلًا! أذكر أنني قلت لصديق وقتها إن أفضل ما حدث اليوم هو أننا عرفنا مَن مِن أصحابنا حمقى.

والآن، في حالة ما كان الموضوع ما زال ملتبسًا عليكم، سأشرح مرة أخرى: هذه المظاهرة ليست مظاهرة للإخوان المسلمين،

إنها مظاهرة قام بها الشعب بمختلف طبقاته الاجتماعية وخلفياته الدينية. ظهر الإخوان المسلمون في الميدان يوم الثلاثاء ١ من فبراير فقط، ولم يكونوا الأغلبية يومها على الإطلاق. ولقد تحمّلنا وجودهم معنا لأنه لا يمكننا أن نرفض أيّ مصري يريد الانضمام للمظاهرات والوقوف بجانبنا، ولكن لا يستطيع الإخوان المسلمون ولا أيّ من زعماء المعارضة أن يحشدوا عُشر العدد الذي كان في المظاهرات بالتحرير يوم الثلاثاء ١ من فبراير. هذه ثورة دون زعماء؛ ثلاثة ملايين شخص اختاروا الأمل بدلًا من الخوف، وواجهوا الموت بشجاعة كل يوم وكل ساعة ليبقى حلمهم بالحرية حيًّا وحقيقيًّا. تخيل!

إن النهاية قريبة. أنا ليس لديّ أيّ أوهام بخصوص هذا النظام أو قائده، فأنا متأكد أنه سيطاردنا واحدًا تلو الآخر حتى يُجهز علينا جميعًا، وبعد ثمانية أشهر من اليوم سيدفع أموالًا ويستأجر أشخاصًا ليخرجوا في مظاهرات مفتعلة تطالبه بالبقاء في منصبه، وسيبقى لأن «عليه أن يرضخ لصوت الجماهير». هذه معركة خاسرة ولديهم كل الأسلحة، لكننا سنستمر في الكفاح حتى آخر نفس لدى آخر واحد فينا. أنا في طريقي إلى التحرير الآن ومعي مستلزمات طبية للمئات الذين أُصيبوا، ذاهب إلى التحرير وأنا أعرف تمامًا أن الهجوم اليوم علينا سيكون مكثفًا، لأنهم لن يسمحوا لنا بالبقاء في الميدان حتى يوم الجمعة، الذي من المفترض أن يكون يومًا حاسمًا. سنقنع الجميع بالنزول للميدان، ونرفض أن تكون المظاهرة أي شيء سوى سلمية. إذا كنتم في مصر أناشدكم كلكم أن تتجهوا إلى التحرير اليوم والجمعة، فمن الضروري أن نريهم أن الصراع من

أجل روح مصر الحقيقية لم يتته بعد. أناشدكم أن تُحضروا معكم أصدقاءكم وأُسركم، وأيضًا المستلزمات الطبية لتروا كيف تبدو على أرض الواقع «ضمانات» مبارك التي أكّد عليها في خطابه. مصر تحتاجُكم. كونوا أبطالًا.

(بعد ساعات من كتابة هذه التدوينة، هوجم محمود وهو يقود سيارته المحمّلة بالمستلزمات الطبية. في وسط البلد، وبالقرب من التحرير، هجم عليه أفراد الشرطة وزعموا للمواطنين الذين رأوا الهجوم أن محمود وأصدقاءه الثلاثة الذين كانوا معه في السيارة «عملاء أجانب». وبعد هجوم استمر لمدة ثلاثين دقيقة، كانت سيارة محمود قد تهشمت ومحمود بداخلها. ثم بعد أن قبض أمن الدولة على محمود وأصدقائه، استمر تهشيم السيارة. تم التحفظ على الأربعة لساعات طويلة قبل أن يُفرج عنهم. وهو يتحدث للإعلام عن الهجوم الذي تعرض له، كشف محمود عن شخصيته؛ فلقد كان يدوّن تحت اسم مستعار لمدة ٦ سنوات قبل ذلك).

الخميس ٣ من فبراير
محمد الدهشان

أنينٌ لا ينقطع

نزلتُ الميدان مبكرًا جدًّا. قبل السابعة صباحًا، والدنيا تكاد تكون ظلامًا. صباح بارد، ترى وسط الشبورة الرمادية عددًا مفزعًا من الرءوس والأذرع المضمدة. تسمع أنينًا لا ينقطع. تذكرت سراييفو (وليسامحني أهل سراييفو على مقارنة هول مذابحهم بمعركتنا، لكني لم أتعمد المقارنة، الصورة الذهنية أتتني فجأة).

شعرت برغبة عارمة في البكاء.

تم تفتيشنا بدقة شديدة قبل دخولنا. لا مشكلة.

قبض المتظاهرون على ما يزيد على مائة شخص، واحتجزوهم في محطة المترو، وفي الصباح تم تسليمهم للجيش. حاول أحد ضباط أمن الدولة أن يدخل الميدان. أمسك به الناس وضربوه حتى قارب على الموت. كان ذلك بالقرب من المتحف. وكان عملًا وحشيًّا. ارتعب صديقي مما يحدث. أخذوا محفظة الضابط واستعرضوا بطاقته ـ نعم، هو ضابط شرطة بالفعل. بعد عدة ساعات، رأيته في

هذا المكتب ـ الذي كان قبلًا وكالة سفر «سفير»، ولكن المتظاهرين اقتحموه، وهو الآن يُستخدم كمقر للإخوان المسلمين وغيرهم. كان الضابط جالسًا على الأرض ويداه مربوطتان خلف ظهره. كان نصفه العلوي عاريًا، وتمت تغطية عينيه بقميصه الوردي. كان الأمر يفوق أي تخيل. أسير حرب حقيقي!

على بطنه، كَتب أحدهم بالحبر الأزرق: «ضابط أمن دولة» داخل عدة دوائر.

لا بد أن ذلك كان مؤلمًا.

كان هناك لقاء ظريف مع سيدة قصيرة و«رغاية» جدًّا تُدعى هناء. قالت إنها توقفت عن التظاهر بعد خطاب مبارك، ولكن بعد عنف أمس لم تتمالك نفسها من الغضب فقررت أن تعود مرة أخرى.

يجب أن نشكر مبارك وزبانيته على دورهم في زيادة عدد المتظاهرين بالميدان.

الخميس ٣ من فبراير
سارة السرجاني

أيها الصحفيون، اهربوا!

أصبح الصحفيون الأجانب هم الهدف يوم الأربعاء، إذ حاول الغوغاء المؤيدون لمبارك؛ الذين يُعتقد أنهم بلطجية وأفراد شرطة متخفين، أن يقتحموا المظاهرات المؤيدة للديمقراطية في ميدان التحرير، فكان أي شخص يحمل كاميرا هدفًا لهم.

خلال المصادمات الدموية جاء رجال يمتطون أحصنة ويقتحمون التحرير ليهاجموا المتظاهرين العزل في مشهد سريالي. كان الهجوم على الصحفيين الذي قام به مؤيدو مبارك منظمًا بنفس الشكل. أحد الصحفيين الأصدقاء قال لي: «لو مالكيش في الجري، بلاش تروحي هناك». وفي صباح اليوم التالي لم يكن الهجوم يستهدف فقط حاملي الكاميرات، إنما أيّ شخص يبدو من مظهره أنه أجنبي. ألقى التلفزيون الحكومي والمكالمات التليفونية التي أذيعت عبر القنوات الفضائية الخاصة باللوم على «الأجانب» بسبب تعبئتهم للمتظاهرين في التحرير ضد بلدهم. في الصباح وقفتُ على كوبري السادس من

أكتوبر أنظر إلى التحرير لألتقط الصور كما أفعل دومًا. كان الذين يرشقون المتظاهرين بالحجارة لا يزالون هناك. بدأت ألتقط الصور، واقترب ضابط جيش مني وقال لي: «delete» (امسحي الصور). ولأنني وجدته يحدثني بالإنجليزية أخبرته أنني مصرية. بدا عليه الاهتمام وقال: «طيب خبّي الكاميرا دي». ولأول مرة كنت أشعر بأن التقاط الصور على الكوبري غير آمن، بعكس الأوقات التي التقطت فيها لقطات فيديو كثيرة وأجريت مقابلات خلال الأسبوع الماضي.

بعد ذلك في اليوم نفسه تعرّض اثنان من مراسلي «ديلي نيوز إيجبيت» لهجوم من قِبَل بعض البلطجية بينما كانا يقومان بإعداد تقرير ميداني في منطقة بعيدة عن التحرير. كانت مجموعة المهاجمين يقولون: «دول أجانب وبيسألوا كتير»، بينما كانوا يحاولون الاعتداء عليهم وعلى أيّ مصريّ يتجرأ ويدافع عنهم. لكن أحد ضباط الجيش أنقذ المراسلين، بينما كان ضابط آخر يجري محاولًا تفريق حشد يهاجم أجانب آخرين. سيطرت عقلية الغوغاء وأُدين الأجانب، فوقفتُ أشاهد ما يحدث غير مصدقة، يملؤني الغضب والخوف، حزنًا على بلدي التي كانت يومًا ما بلدًا آمنًا.

بعد ذلك في اليوم نفسه قمتُ بتوصيل صحفيّ أمريكيّ ـ فرنسيّ إلى المطار. في الصباح قال إنه سيتجاهل دعوة سفارته للرحيل وسيبقى في مصر، لكن بعد الهجوم حزم أمتعته. كان علينا أن نتجنب الطرق التي يُعتقد أن أنصار مبارك يُسيطرون عليها ووصلنا إلى المطار بسلام، لكنني شعرت وكأنني أقوم بتهريب مخدرات، لا أقوم بتوصيل صديق عبر شوارع المدينة.

الخميس ٣ من فبراير
أميرة صلاح أحمد

«مش مصرية زيهم»

تفوقتْ وسائل الإعلام التابعة للدولة على نفسها في الأيام القليلة الماضية بمساعدة المسئولين؛ فبجانب الأكاذيب الرديئة اللاأخلاقية التي يصبُّونها على الجماهير المذعورة، بدأوا يُحرضون على العنف والكراهية والشك باللعب على هوس «الأجندات الخارجية». وتراوحت الادعاءات ما بين وجبات الكنتاكي والنقود التي تُوزع على المتظاهرين لزعزعة استقرار البلد وتدميرها، حتى تدخين الممنوعات وممارسة الجنس في الخيام. ولصالح من؟ إن تعريف الأجندات الخارجية تعريف جامع وشامل، والفرص تتساوى مع الجميع: إيران، ودول الخليج (ممكن قطر؟) والدول المجاورة، والقاعدة والصهاينة وحزب الله وإسرائيل. يبدو أنهم تعاونوا جميعًا لنشر بذور الثورة في ميدان التحرير.

وماذا عن الشعب المصري؟ يبدو أننا كنا نتبع الأوامر بآلية بينما نتغذى على الـ«كنتاكي فرايد تشيكن» ونمارس الرذيلة على المشاع.

لو قلت إنها إشاعات سخيفة لأبخستها حقها؛ كذب في كذب ومن النوع غير القابل للتصديق ـ ادعاءات غير منطقية على الإطلاق. وهكذا كانت تُغذّى عقلية الجماهير خلال تلك الفترة. مجرد أن تنطق كلمة «الجزيرة» أو «صحفي» أو «أجنبي» كان كافيًا لشحن الغوغاء ضد الصحفيين الذين كانوا يقومون بتغطية الثورة في التحرير، والذين كانوا هدفًا للزينوفوبيا (الخوف من الأجانب وكراهيتهم) والاعتداء في كل مكان وبصورة عشوائية.

كنا نحسب أننا في مأمن؛ نحن لسنا من طاقم الجزيرة ومعظمنا مصريون. كانت القصص التي نسمعها عن الاعتداء على أصدقائنا من الصحفيين الأجانب وتسليمهم للجيش والتحفظ على بعضهم كافية لإخافتنا، وخاصة مَن كانوا يعملون من المكتب هذا اليوم. ولكننا كنا بعيدين عن التحرير وتصورنا أننا بأمان، كما أننا لم نكن نعي تمامًا وقتها عواقب تلك الشكوك التي أثارتها وسائل الإعلام.

كان اليوم عاديًا بقدر ما سمحت الظروف وقتها. ناس كثيرة في المكتب. كنا نحاول طباعة الجريدة مرة أخرى بعد توقف لبضعة أيام بسبب حظر التجول. كان قسم الاقتصاد والأعمال مشكلة، لم يكن هناك اقتصاد لنكتب عنه؛ أغلقَت الشركات أبوابها وتوقفت الصناعات بالإضافة إلى البنوك.. وطبعًا البورصة، إلى جانب ضعف حركة نقل البضائع بسبب الحظر. كنا فقط نكتب عن ارتفاع أسعار المواد الغذائية، وحركة المرور بقناة السويس ونندب على حال قطاع السياحة.

في ذلك الوقت كان لديَّ ثلاثة كُتاب لصفحة الاقتصاد وهم

عمرو (مصري)، وسارة (مصرية سودانية نشأت بالولايات المتحدة الأمريكية)، وكريس (فرنسي أمريكي). يومها قال لي كريس إنه، على العكس من كل السائحين والأجانب الذين قرروا السفر، يشعر بالأمان في مصر ولا يريد الرحيل برغم المكالمة التي جاءته من سفارته تبلغه بمواعيد رحلات الطيران المتاحة. قررت أن أرسل سارة وكريس ليكتبا عن أسعار المواد الغذائية، وهي نفس القصة التي كتباها قبل بضعة أيام بلا أدنى مشكلة. كانا يمشيان في تلك الشوارع كل يوم. كريس يسكن بجوار المكتب. كنا بعيدين عن التحرير. كانا يمشيان فقط حتى وراء الناصية لا أكثر. كان كريس ذاهبًا لإحضار غذائه من محل الفول المفضل لديه، ففكرت أن بإمكانه إجراء أحاديث صحفية مع الناس في الطريق. لم أفكر أبعد من ذلك ولم أدقق في الأمر.

تلقيت بعدها مكالمة مذعورة منه وكان بالكاد يستطيع الكلام: «عايزين ياخدوا سارة. عايزين ياخدونا. عايزين ياخدونا يا أميرة». لم أفهم شيئًا، كنت أسمع صراخًا من حوله. سألته:

- «مين؟ مين اللي عايزين ياخدوكوا؟ وياخدوكوا فين؟».

- «ناس هنا عايزين ياخدونا. بيقولوا علينا جواسيس وسارة معاهاش بطاقة».

أخبرني عن مكانهما وصوته يرتعش. كانا عند الناصية بالضبط. أخذت حقيبة سارة بسرعة - وبغبائي تركت حقيبتي، وأخبرت رانيا التي لحقت بي هي وثلاثة من زملائنا. جريت على المقهى الذي ينتظرني به وليد، ذُهل الجميع من صياحي به لكي يترك كل شيء ويأتي معي. بعضنا ركب مع رانيا وجرى مَن تبقى إلى حيث كانوا.

كان معي وليد ورانيا ومحمد (مسئول الدعم التكنولوجي) وأسامة (مصمم الجرافيك) وأحمد أخو سارة السرجاني.

لم نستطع حتى رؤيتهم من بين الغوغاء الذين يُطوّقونهم. اخترقنا الحشد ونحن نصرخ بهم، وكان هناك أمين شرطة يقف بجانبهم يبدو عليه العجز والحيرة. كانوا نحو ثلاثين رجلًا وسارة وكريس في حالة ذعر. تصورت أن بإمكاننا إنقاذ الموقف بمجرد أن نقول لهم «سيبوهم دول معانا»، ولكن لا تأتي الرياح دائمًا بما تشتهي السفن. فقد زاد غضبهم عندما عرفوا أننا جميعًا صحفيون وأنهم معنا، فنحن لا نثوي «أجانب» فقط ولكننا «صحفيون» كذلك. كلمتان كفيلتان بإشعال الحرب علينا. سبّ وصراخ واتهامات وصياح والناس يتكاثرون حولنا، لدرجة أنني فوجئت بالصبيّ الذي يأتي لمكتبنا بالبريد السريع يصرخ بي.

سحبناهم خارج الدائرة وظللت أصرخ في أمين الشرطة ليسيطر على الموقف ولكن بلا فائدة. لو كان صنمًا لتحرك. أمسكته من ذراعه ليُخرجنا من بينهم ونحن نصرخ بهم أن الموضوع انتهى، وأن أمين الشرطة سيحسم الموقف الآن. حتى بعد تحققه من هوية سارة وكريس لم يهدأوا. أعاد إلينا بطاقاتنا وتركَنا لهم قائلًا لهم أن يتعاملوا معنا بطريقتهم.. ثم اختفى.

ظل العدد يتزايد حولنا، كل مرة أرفع رأسي وأنظر ورائي أجد المزيد. أحدهم نادى ضابط جيش جاء في تاكسي، أحاطوا بنا مرة أخرى ودفعوا بعضنا إلى داخل السيارة. أرادوا أن يأخذوا رانيا وسارة وكريس وأحمد. كنت أعرف أنهم إذا أخذوهم دون أن نعرف وجهتهم

لا نضمن أن نجدهم بعدها. يمكن أن يحبسوهم أو يُعذبوهم ويمكن أن يتركوهم كما تركوا آخرين، ولكن لا سبيل إلى التنبؤ بأي شيء. أمسكت بذراع الضابط لأعرف إلى أين يأخذونهم ولكن بلا جدوى. تصوّرنا أننا لو صِحنا بالناس سنريهم أننا لسنا خائفين وأننا لم نرتكب أي جريمة وأننا مصريون مثلهم تمامًا، ولكننا بذلك أثرنا حفيظتهم أكثر، فبدأوا بتوجيه اللكمات التي أصاب معظمها زملاءنا الشباب الذين كانوا يحاولون حمايتنا. كان ضابط الجيش صغيرًا وخائفًا أكثر منا فاضطر أن يستجيب لهؤلاء الغوغاء ويأخذ زملاءنا: كلنا جواسيس ننفذ أجندات خارجية!

لم يكن هناك مجال للتفاوض أو النقاش معهم. ظل وليد يصيح بهم: «مين الكبير بتاعكم؟ هاتولي حد واحد أتكلم معاه! مين؟»، ولكنهم لم يردوا عليه، لم يكونوا مجموعة منظمة، بل مجموعة عشوائية من المارة مشحونة بما أشاعته وسائل الإعلام، فظنوا أنهم يساعدون الدولة في القبض على الخونة والمندسين، وظلوا يرموننا بأفظع الاتهامات ويشتموننا لأننا خربنا البلد. حشروا سارة وكريس ورانيا وأحمد في السيارة الصغيرة حتى إني أعتقد أن أحدهم اضطر تقريبًا للجلوس على حجر الضابط في المقعد الأمامي، ثم ذهبوا وتركونا. عندها فقط استطعت أن أرى وليد وعمرو ولم يكن لديَّ أدنى فكرة عن مكان أسامة ومحمد، ولكني كنت متأكدة أن هؤلاء الغوغاء ضربوهم. لم يكن هناك إلا ثلاثتنا والصياح يعلو ونحن نصرخ بهم: «إحنا مصريين. اهدوا شوية وخلّونا نتكلم»، فجاء ردهم: «أنتو مش مصريين. مش مصريين زيّنا»، وانهالت اللكمات بغزارة. ظنوا أننا نحاول الهرب فضيّقوا الخناق علينا أكثر وهم يدفعوننا ويضربوننا.

كان وليد بطريقة ما يحاول أن يلفني بجسده ويسحبني خارج الدائرة فهتف أحدهم: «دول عايزين يهربوا» مما زاد من غضب الباقين. كنت أصرخ بهم: «ده أخويا. سيبونا»، ولكنهم جاءوا نحونا بقوة أكثر. دفعني وليد إلى جانب إحدى السيارات بحيث أحمي وجهي بينما حاول هو حماية ظهري وهم يلكمونه في رأسه وظهره. لست واثقة مما كان يحدث لوليد ساعتها!

بعد ذلك أحضروا تاكسي آخر ولكن بلا ضابط جيش هذه المرة. وفجأة ظهر ضابط شرطة بزي مدنيّ وجهاز لاسلكي وأخبرهم أنه سيأخذنا للجيش، فوافقنا. على الأقل قد نكون في أمان أكثر هناك: «خلاص خُدنا للجيش. إحنا عايزين نروح للجيش».

ألقوا بثلاثتنا في سيارة تاكسي. كان السائق مذعورًا ويداه ترتعشان بصورة لم تُمكنه من إعادة المفتاح إلى مكانه مرة أخرى. بدأ الخبط على الجزء الخلفي من السيارة وعلى النوافذ. أحاطوا بنا من كل جانب. يبدو أنهم غيّروا رأيهم ولا يريدوننا أن نذهب ويريدون التصرف معنا بطريقتهم. وفجأة جذبوا وليد وعمرو من جانبَي السيارة وأنا أصرخ في السائق: «يلّا سوق. اطلع بسرعة!». للحظة، كان على وشك الخروج من السيارة ليهرب. فتح الباب وحاول أن ينهض، ولكني شددته بالحزام من المقعد الخلفي بكل ما أوتيت من قوة، وظللنا نصرخ في أذنه: «سوق! سوق!».

وفجأة، رفع عمرو بطاقة الرقم القومي الخاصة به وصرخ فيهم بصوت مرتعش لينظروا فقط ويتأكدوا من أننا مصريون. وفي لمح البصر، مد أحدهم يده إلى داخل السيارة وخطف البطاقة

وجرى. كان الأمر كله عبثيًّا. انطلقنا بالسيارة أخيرًا وهم يلاحقوننا بالموتوسيكلات، وآخران على جسم السيارة نفسها. داخل السيارة، كان الضابط يزعق في اللاسلكي: «أيوه يا أفندم. مسكتهم. كانوا بيوزعوا منشورات في المهندسين وأنا واخدهم على القسم دلوقتي».

كنا نعرف أن الجيش شيء والشرطة شيء آخر. لم نكن نريد أن يأخذونا لأمن الدولة. عند هذا الحد، كان الجيش هو السلطة الوحيدة التي يمكننا أن نثق بها. ظللت أصرخ بأعلى صوتي: «لأ، خدونا للجيش، بلاش القسم. ودّينا للجيش». أحمد الله أن السائق استمع إليّ ولم يستمع للضابط بالزيّ المدني، فأنزلنا عند أقرب نقطة للجيش قبل مطلع كوبري ٦ أكتوبر، وهو المكان الذي أمُرّ به كل يوم في طريقي للعمل. الآن توجد به مدرعة وضباط جيش.

تَبِعنا البعض ورفضوا الذهاب قبل أن يتم التعامل معنا. لحُسن الحظ، كان ضابط الجيش عاقلًا بما يكفي لتفهُّم الموقف. طلب منا أن نقف في شارع جانبي مغلق حتى يملوا وينصرفوا. اتصلت بسارة السرجاني لتُحضر لي بطاقتي الشخصية وكارنيه الصحافة من المكتب، ولكني طلبت منها ألا تقترب كثيرًا أو تقول لأحد إنها تعرفنا، فأرسلتهما لي مع أحد الشباب الذي أحضرهما لي وسط هذه الفوضى.

بينما كنا ننتظر، عرفنا أن المجموعة الأخرى بخير بعد أن أخذوهم لإحدى نقاط الجيش البعيدة. تحدث الضابطان مع بعضهما على الهاتف ليقررا إطلاق سراحنا بعد انصراف المتجمهرين حولنا. بعد

فترة من الانتظار، اضطر الضابط إلى المغادرة للتعامل مع مواطنين آخرين أمسكوا بهم. ثلاثة صحفيين أجانب ومصري محشورون في سيارة أخرى ربما من قِبل مجموعة الغوغاء نفسها، ألقَوْهم بنفس المكان الذي ننتظر به إخلاء سبيلنا. كنت أعرف المصري الذي يصحبهم. ولكن الضابط كانت لديه شكوكه بشأنهم لشكلهم الأجنبي الواضح والشعر الأشقر وما إلى ذلك. أخذ دفاترهم وطلب مني قراءتها. قلت له إنني لا أستطيع لأن كل صحفي له شفرة خاصة في تدوين الملاحظات لا يمكنني معرفتها. كانت فكرة سيئة فقلت: «خلاص، هاقرأها. مجرد ردود أفعال الناس على اللي بيحصل، وازاي عايزين البلد ترجع زي ما كانت ورأيهم في المظاهرات. مفيش حاجة تسيء لنا يعني».

ثم جاء زائر آخر. كانت لحظة غريبة عندما مشى الرجل إلى حيث نقف واحتضن عمرو وهو يقول: «عشان إيه ده كله؟ احنا فين هنا؟». ظننت أن عمرو كان قد اتصل بأحد أصدقائه المقربين حتى يأتي لإنقاذنا. ولكن تصادف أن هذا الشاب الذي يسكن بالدقي أخذ تاكسي للتحرير، فشك السائق به خاصة بعد رؤيته للكاميرا التي يحملها فأحضره إلى أقرب نقطة تفتيش للجيش حيث نقف نحن. وهنا ضحكنا من شر البلية وسخافة الموقف.

بدأنا ننصرف في مجموعات صغيرة حتى لا نلفت النظر إلينا وذهبنا للمكتب حيث وجدنا الجميع هناك وقد تمكنوا من الوصول بسلام. لكن كريس كان قد قرر أن يترك البلد لأنه لم يعد آمنًا هنا، وفي خلال ساعة كان قد أعدّ أغراضه في طريقه للمطار. بعدما

ضحكنا على ما حدث انهرت باكية وأنا أودّعه في واحدة من أقسى اللحظات التي واجهتها في تلك الأيام الصعبة. كانت صدمة بالنسبة لنا وخاصة أنا لأنه كان يعمل في فريقي وأحسست بأنه خطأي. كنا أصدقاء وأنا التي أسندت إليه تلك المهمة الغبية التي عرضتنا جميعًا للخطر. ولكن كان من الممكن أن يحدث ما حدث في أي مكان، وربما لم يكن ليمر بسلام أيضًا. فهناك صحفيون آخرون احتجزوهم لفترات أطول بعدما أخذوهم للسجن واستجوبوهم؛ ولذا يمكننا القول إن المصير الذي واجهناه هو أفضل سيناريو متوقع في هذه الحالة. على أي حال، لم يجعل هذا رحيله أسهل، والأنكى من ذلك أني بدأت أقلق على سلامتي الشخصية في بلدي. لم أشعر أبدًا بأي خطر وأنا أمشي في شوارع القاهرة ولا حتى أثناء الثورة ـ لا لكوني امرأة أو صحفية، وبالتأكيد لا لأني مصرية. فكرة أني مصرية ولكن «مش مصرية زيهم» في نظر بعض الناس كان لها أثر مؤلم أكثر مما تصورت. وطبعًا، لم تُرْسَل الجريدة للمطبعة هذا اليوم، ولو صدرت لتخللتها دموع الصدمة والذهول.

الجمعة ٤ من فبراير
محمد الدهشان

الاعتداءات تستمر

أمس غادرتُ التحرير أخيرًا بعد أسبوع من البيات في منطقة الميدان (في المكتب المؤقت الذي أقمناه). كنتُ في التاكسي قبل نصف ساعة من تفعيل حظر التجول عندما أوقفتني مجموعة من الحيوانات يلعبون دور العسكر (بدون حرامية) حاملين سواطير و«كزالك» ـ تلك السكاكين العملاقة؛ إذ كنا بالقرب من منطقة المدبح. المهم، قرروا أن يشتبهوا بي فقط لأنني كنت أحمل لابتوب. كان منطقهم يتلخص فيما يلي: «كمبيوتر يعني إنترنت.. يعني اتصالًا ببقية العالم.. يعني جاسوسًا وعميلًا». حاول شابان أن يتناقشا بالمنطق مع زعيم العصابة أبو جلابية وشارب سميك، ولكنهما استسلما بسرعة وعادا للجلوس على القهوة.

الضربة الأولى على رأسي كانت إذن البداية لهم. هجموا جميعًا. كان الأمر مريعًا، وليس بسبب الألم، ولكن بسبب عدم التصديق. كان هناك ضابط وعسكري جيش يقفان على بُعد مترين ونصف، وكان كل ما فعلاه أنهما وقفا ليشاهدا ما يحدث لي.

بينما ارتميت على الأرض متشبثًا باللابتوب في وضعٍ جنينيّ، كنت أشعر فيما بين اللكمات بأيدٍ تحاول الوصول إلى جيوبي. يا ولاد الوسخة يا بلطجية يا لصوص. لا بد وأن الدم الذي تدفق من رأسي قد هدأهم بعض الشيء - ثم تم سحبي ودفعي إلى داخل سيارة إسعاف كانت تُستخدم كوسيلة مواصلات للجيش.

احتجزني الجيش لبقية اليوم. قرر المقدم المسئول - اسمه محمد ولم أعرف بقية اسمه - أن يهشم هاتفي المحمول بدون سبب واضح. لا يوجد مَن يمكنه أن يُغيثني؛ لذا وجب عليَّ أن أكون لطيفًا وأن أُظهر الإذعان لهذا المريض النفسي الذي وَجد بين يديه القدرة على التحكم في أرواح العباد، قوة غير محدودة وسلطة هو ليس أهلًا لها.

قضيت بقية الليل جالسًا في الشارع الذي تحوّل إلى معسكر جيش، وتحدثت مع مجموعة من الرجال المخيفين وهم يتلاعبون بسكاكينهم. كان أولئك الرجال - أحدهم اسمه أشرف، ولا أذكر أسماء الباقين - من ضمن الحيوانات الذين هجموا على الميدان بالأمس ليضربونا.

ولم تكن تلك هي نهاية ذلك الموقف العبثيّ؛ حيث عرض عليَّ أشرف رُبع قرص مخدر لم أعرف نوعه ولا أذكر اسمه. أبتلعه برشفة كوكاكولا كان رفاقه في نقطة التفتيش قد سرقوها من الناس الذين كانوا يحملون الطعام والدواء في طريقهم إلى الميدان.

بدأت في التساؤل حول ما إذا كان أمثال هؤلاء يستحقون التظاهر من أجلهم أصلًا! هل هذه هي مصر؟ شعب من البلطجية واللصوص المدمنين؟

بعد ليلة ليلاء ركبت تاكسي للعودة إلى البيت الساعة العاشرة صباح اليوم. لم أتمكن من الذهاب الساعة الثامنة عند انتهاء حظر التجول لأن أحد ضباط الجيش كان قد أخذ بطاقتي وغادر. في طريقي للبيت، كنت أحاول أن أُروّح عن نفسي قليلًا، وقد كتبت أفضل نكتة توصلت إليها على «تويتر» فيما بعد: «شامبو دوف: رقم واحد في تنظيف شعرك من الدماء!». ثم تلقيت ما لا يقل عن اثنتي عشرة مكالمة من الأصدقاء ليَطمئنوا عليّ، بما فيهم زميلة سابقة لي من الجامعة لم أكن أعرف عنها شيئًا منذ التخرج. شعرت بعرفان وامتنان لا متناهييْن. أكثر ما يخيفني عندما أستخدم اسمًا مستعارًا على الإنترنت هو ألا يتمكن أحد من الوصول إلى أسرتي إذا ما حدث لي مكروه؛ لأن لا أحد يعرفني حقًّا.

ولكني اكتشفت أن الناس، وإن لم يعرفوك شخصيًّا ولا يعرفون لك صوتًا سوى من خلال كلمات على شاشة كمبيوتر أو جريدة، فإنهم يخافون عليك كما لو كنتم أصدقاء قدامى.

ربما ينبغي أن أُغير اسمي رسميًّا إلى «محمد الرحّال» وأخلص!

•

الجمعة ٤ من فبراير
أميرة صلاح أحمد

جمهورية التحرير

أسست جمهورية التحرير مدينة فاضلة؛ جميلة، مثالية، متآلفة، مرحة، جريئة، مثابرة، منظمة، مبدعة، متراحمة. كانت مثالًا للكمال. أبدع الثوار في الأغاني والهتافات والشعر والطيبة. إن كانت هناك طريقة لحشد كل العوامل التي جعلت من التحرير مدينة فاضلة لاختفت مشاكل العالم كُله. انهارت كل الحواجز الخاصة بالسن والطبقة الاجتماعية والجنس والدين والانتماءات السياسية، ونَمَت في المقابل روح الوحدة الوطنية.

كان الاقتصاد في حالة من الركود الكامل، ولكن الأمر يستحق العناء. كان ثمنًا بسيطًا لما لمسناه من حتمية نجاحنا في النهاية مهما طال الوقت. لم يعد من الممكن اختراق جمهورية التحرير ـ محمية طبيعية من قِبَل مواطنيها الذين عاشوا أيامًا وليالي مروعة. ولكن الوضع بات أكثر هدوءًا وأمنًا الآن. سقوط النظام مسألة وقت ليس إلا.

يوم ٤ من فبراير، عُدت أنا ووليد إلى التحرير رغم خوف والدَيْنا. كان الرعب يسيطر عليهما بعدما حكينا لهما عن هجوم الغوغاء علينا. لم نكن ننوي أن نخبرهما ولكن الحكاية بدأت تنتشر مما يعني أن الخبر سيصلهما في النهاية. هذا الصباح، رجتني أمي ـ التي عادت بسلام إلى المعسكر المناوئ لمبارك ـ ألا أخرج أنا وأخي. امتثلت لرغبتها لفترة، ولكني بعد ذلك بدأت أشعر بالقلق والتوتر. كنا نعمل من البيت لأن الجريدة متوقفة، ولم يكن هناك الكثير لنكتبه على صعيد قطاع الأعمال. كان الجلوس بلا عمل هذه الفترة أشبه بالخيانة. ثم جاءت جارتنا التي تنتمي للمعسكر المضاد وبدأت تسأل: «انتو عايزين إيه تاني؟ ما كفاية كدة. مبارك ده رمز لينا برضه.ماينفعش يمشي دلوقتي، هو كدة كدة ماشي بعد كام شهر. مش ده اللي انتو كنتوا عايزينه!»، وبدأتْ تُلقي باتهامات على الأولاد والبنات الذين ينامون معًا في التحرير والأجندات الخارجية. أشعلتْ غضب أمي واستغللت أنا الموقف فنهضت وسط هذه المناقشة العقيمة وقلت لوالدتي وأنا أسرع إلى الخارج: «أنا رايحة أتسلى مع بقية البنات والولاد اللي في التحرير».

في طريقي إلى الخارج، قلتُ لجارتنا ما كنتُ أقوله للعديد من معارضي الثورة في تلك الفترة. قلت لها إنها لا تملك أن تقرر ما يكفي وما لا يكفي، وأن النظام بدأ يرضخ لبعض المطالب بسبب الضغط الشعبي الهائل ليس إلا، وإنه لولا المتظاهرون والمعتصمون والشهداء وشجاعة الملايين لما حققنا أي شيء، وإنه إذا لم يكن لديها ما يكفي من الطموح والرؤية لهذا البلد ولا تحلم بالديمقراطية والحرية، هناك آخرون يحلمون بذلك، ويمكنها على الأقل دعم

أولئك الذين يتمتعون بالشجاعة الكافية للقتال من أجلها ومن أجل مستقبل أولادها، بينما لا تفعل هي سوى الشكوى. بالطبع أنا وجارتي لم نعد نتحدث كثيرًا الآن بعد هذه المحاضرة. عند هذه النقطة، شجّعتني والدتي على النزول وقال والدي: «حيحصل إيه يعني؟ حيموتوا؟ زي اللى استُشهدوا عشان بلدهم».

قضينا يومًا كاملًا في التحرير. تشبعنا بالطاقة الإيجابية التي كنتَ تكاد تلمسها بيديك، وصلنا إلى المنزل متأخرين في الوقت المناسب ليحزم وليد أمتعته ويذهب للمطار. غادر وهو مجبر، وترك فراغًا هائلًا.

السبت ٥ من فبراير
محمد الدهشان

إصــرار

توجهت إلى الميدان ليلة أمس. أخذت تليفون أخي، كما أخذت ما تبقى من هاتفي أيضًا. كنت بخير. بالمناسبة، لم أذهب إلى المستشفى، حيث أدركت أن النزيف قد توقف بسرعة، وتذكرت أن فروة الرأس واللسان ينزفان كثيرًا لاحتوائهما على أوعية وشعيرات دموية كثيرة. أو حاجة زي كده يعني. والله ونفعت حصص العلوم بتاعة المدرسة.

أخذت «الحطة» اليمنية التي كنت قد اشتريتها من صنعاء - حيث شرح لي البائع لما يزيد على عشر دقائق كيفية لفها حول رأسي: مثلثة وطرفها للوراء، ثم كلا الطرفين يلتف حول الرأس بزاوية ٥٤٠ درجة بحيث توفر غطاءً سميكًا للرأس. ألفّها على الطريقة اليمنية - تدفئني، والأهم أنها تُخفي الجرح المفتوح في رأسي.

حوالي الساعة الواحدة صباحًا، أستلقي بجانب الخيمة لأحصل على قسط من النوم. حوالي الساعة الثالثة أزحف إلى

الداخل. كانتْ رائحة الأقدام طاغية. (كان صديقي طارق صاحب الخيمة ومضيفنا، منه لله، يطبق سياسة صارمة فيما يتعلق بعدم ارتداء الأحذية أثناء النوم).

الأحد ٦ من فبراير
محمود سالم

الحلول والبدائل

الطريق إلى الأمام

بدأ اليوم بحدثين مهمين:

١ ـ استقالة عدد من الأعضاء البارزين في نظام مبارك من مناصبهم في الحزب الوطني الديمقراطي، بما فيهم رفيق دربه وساعده الأيمن صفوت الشريف وابنه جمال مبارك.

٢ ـ عدد الذين اتصلوا بي ليسألوني عن الخطوة التالية لمظاهرات التحرير، والذين أُحبطوا بسبب عدم وجود رؤية مستقبلية واضحة للحركة. كانوا يَخشَوْن أن تفقد المظاهرات زخمها وقوتها، وأن تتلاشى هذه اللحظة التاريخية وتنتهي.

أنا لست قائد هذه الحركة، ويعلم الله أنني أكره أن أُنصب نفسي المتحدث الرسمي عن خمسة الملايين مصري الذين انضموا للمظاهرات في مختلف أنحاء مصر. أنا ببساطة مروّج للمظاهرات ومشارك فيها، وفخور للغاية (وأحيانًا أكثر من اللازم) بأن هذه الحركة

ليس لها قائد أو ممثل. ولقد ساعد هذا كثيرًا في ترابط هذه المظاهرات ووحدتها: كان الناس يوافقون على مجموعة من المطالب التي تدعو إلى الديمقراطية ومحاسبة المسئولين والحرية، مطالب تدعم الحكم الذاتي والحقوق الشخصية بغضّ النظر عن ميولك الإيديولوجية. كنا نعتقد أن هذا كافٍ، ولكننا أدركنا أنه ربما لم يعد كافيًا الآن.

إذا أردنا أن نقيم نجاحات هذه الحركة حتى الآن، فيمكننا أن نقول إن هناك القليل من الانتصارات المهمة، ولكن لا يوجد انتصارات عظيمة بعد. قال مبارك إنه لن يترشح مرة أخرى، ولكنه لا يريد أن يتنحى عن الحكم. سيُغير مبارك الدستور ولكن بواسطة نفس البرلمان الذي طُعن في فوز ٨٥٪ من أعضائه. حتى مع الأخبار التي وردت اليوم، فما فعله الحزب الوطني من إقالة كبار أعضائه بما فيهم جمال مبارك هو مجرد تغيير تجميلي وليس حقيقيًّا. يجب ألا تُرضينا مثل هذه الخطوة، فمبارك ما زال الرئيس، وقانون الطوارئ ما زال ساريًا، ولم يتم حلّ البرلمان، ولم تُدع لانتخابات جديدة، والدستور ما زال وثيقة مرنة يمكن للحزب الحاكم تغييرها وقتما شاءوا. وعلى الرغم من أننا نبدو وكأننا الرابحون، إلا أننا أبعد ما نكون عن الربح.

أما بالنسبة للخطوات القادمة فمن الواضح أن لدينا خيارَيْن مطروحين:

١ ـ استمرار مظاهرات ٢٥ من يناير كما هي، وهو شيء فوضويّ ولكن واضح الهدف.

٢ ـ مجلس الحكماء، والذي يُنظر إليه الآن على أنه الخيار الثالث بين عناد الحكومة وإصرار المتظاهرين الذي لا يتزحزح.

جذب مجلس الحكماء هؤلاء الذين يبحثون عن قادة يُعبّرون عن آرائهم ويتفاوضون مع الحكومة، واقتراح مجلس الحكماء جدير بالتفكير فيه. ولكن مشكلة هذا المجلس كخيار ثالث هي أنه على الرغم من تشكّله من شخصيات محترمة وهامة، وهم قادة أو رجال أعمال مصريون، إلا أنني غير واثق من كمّ الضغط والتأثير الذي لدى المجلس على المتظاهرين أو الحكومة، وما إذا كان أحد الطرفين سيقبل بالمجلس كوسيط بينهم.

على أي حال، فالوضع الحالي لا يمكن أن يستمر؛ فانعدام التحرك والتنظيم سيتم استخدامه ضدنا نحن المتظاهرين بكل طريقة ممكنة. فسيبدأ المشاركون في المظاهرات في الشكوى من عدم وضوح الاتجاه وعدم وجود قادة للحركة. وستبدأ الحكومة في الشكوى من أن المتظاهرين لم يقدموا شخصًا واحدًا ليمثلهم ويتفاوض مع الحكومة بالنيابة عنهم، وأن المتظاهرين لا يعرفون ما الذي يريدونه بالتحديد. ضع في اعتبارك أن كل هذا هراء؛ فالمتظاهرون يعرفون ما الذي يريدونه (ويمكنك قراءة مطالبهم والتعرف عليها في كل مكان) ولكن مطالبهم بالنسبة لهم غير قابلة للتفاوض، وبالتالي لن يقبلوا الدخول في مفاوضات حتى يتحقق عدد من هذه المطالب. العقدة في المنشار!

في رأيي، عندما تتوجه للتحرير في المرة القادمة، بالإضافة إلى البطاطين والطعام والأدوية، من فضلك خذ معك بعض الطاولات القابلة للطي، والكراسي، والورق والأقلام، ولابتوب ووصلة إنترنت (USB). انصب طاولتك أو بعض الطاولات، وابدأ في تسجيل المتظاهرين؛ خذ أسماءهم وسنهم وعناوينهم. وبناء على

موقعهم، ابدأ في تنظيمهم في لجان، ثم اجعل كل لجنة من هذه اللجان تختار قائدًا أو ممثلًا لها. قم بالشيء نفسه في الإسكندرية، والمنصورة، والسويس، وكل المدن المصرية الكبرى التي تحدّى فيها المتظاهرون قمع الشرطة وخرجوا في الشوارع بالآلاف. احمِ هذه البيانات بحياتك. ثبّت برامج تشفير على جهازك لضمان سرية وأمان هذه المعلومات. استخدم أدوات أو تطبيقات موجودة على الإنترنت مثل ملفات جوجل (Google Documents) لإدخال البيانات وذلك لتضمن أنه حتى لو صادر أمن الدولة جهازك لن يجدوا أي شيء على القرص الصلب (hard disk). اطلب من الناس خارج مصر أن يحفظوا بياناتك تلك بشكل يومي على خوادم آمنة (secure servers). ثم ابدأ بعد ذلك في تأسيس الكيان.

كما ترى فإنه بالتنظيم بين المواطنين وتقسيم أدوارهم يكون لدينا قاعدة بيانات بكل المتظاهرين الذين كانوا في المظاهرات ومواقعهم في مصر، ويمكننا أن نُحوّل ذلك إلى كتل تصويت في الدوائر الانتخابية. ويمكن أن يكون ذلك نواة لحزب نُطلق عليه حزب الوحدة المصرية، وهذا الحزب سيكون مظلة تدعو إلى المساواة، والديمقراطية، والمحاسبة، والمسئولية، دون أي مواقف إيديولوجية. يجب أن يكون هذا الحزب وسطيًا؛ لأننا لا نريد أي شجارات مملّة بين اليسار واليمين في هذه المرحلة. بعد أن تُؤسِّس هذا الكيان ابدأ في توعية الأعضاء بخصوص حقوقهم وواجباتهم كمواطنين؛ اقنعهم بأن يصطحبوا معهم خمسة من أصدقائهم وأقاربهم لاجتماعات الحزب. كوّن كتلة حرجة من الناخبين تحت مظلة هذا الحزب.

حزب الوحدة المصرية لن يكون كيانًا دائمًا، ولكنه كيان انتقاليّ له هدف واضح ومباشر، ألا وهو خلق منظمة شعبية لتستعيد البرلمان والرئاسة في الانتخابات القادمة. وبمجرد حصول حزب الوحدة المصرية على العدد الكافي من الأصوات والمقاعد، سيُعدل الحزب الدستور ليعزز ويحمي الحريات المدنية، والتعددية، والانتخابات الديمقراطية الحقة. وبعد تعديل الدستور، سيتم حل الحزب، ويمكن لأعضائه أن يشرعوا في تأسيس أحزابهم وتحالفاتهم الخاصة بناء على قناعاتهم الشخصية ومواقفهم الفكرية، أو يمكنهم الانضمام إلى أي من الأحزاب الموجودة بالفعل ويدفعوا بدماء جديدة في تلك الأحزاب المتحللة. وفي النهاية سنكون قد حصلنا على عملية سياسية فعلية وأحزاب سياسية تمثل مختلف تيارات وطبقات المجتمع والتي ستناقش السياسات وتمثل هؤلاء الذين انتخبوهم حتى يُعيدوا انتخابهم في المستقبل. وهكذا يكون تطبيق الديمقراطية؛ مبدأ قديم ولكنه في غاية الذكاء، وهو طريقة لضمان أن مهما حدث سيكون لدينا تأثير كبير على اختيار مَن سيكون رئيسَ مصر القادم في سبتمبر.

أنا متفائل جدًّا ويملؤني الأمل في أننا نستطيع أن نقوم بذلك. فلقد أثبتنا حتى الآن أن كل النقاد والكارهين كانوا على خطأ. حان الوقت لنُثبِت ذلك مرة أخرى!

الأحد ٦ من فبراير
طارق شلبي

بنسيون الحرية

كيف يمكنني الحديث عن الثورة دون الحديث عن بيتي الجديد الذي قضيت فيه أسبوعين؟ غيرت سكني من يوم السبت الذي تلا جمعة الغضب إلى يوم ١١ من فبراير من منطقة المهندسين المحافِظة إلى ميدان التحرير البوهيمي التقدمي.

الانتقال إلى ميدان التحرير

في صباح يوم ٣٠ من يناير تلقيت اتصالًا هاتفيًّا من صديقي العزيز وليد فهيم الذي اقترح أن نأخذ خيمته معنا لميدان التحرير ونبيت المساء داخلها وننضم للمظاهرة في الصباح. بدت الفكرة وقتها جنونية، وعبقرية في نفس الوقت. لملمنا أغراضنا واتجهنا لميدان التحرير، وعندما وصلنا هناك وجدنا متظاهرين نائمين بجوار الشجيرات الموجودة في الميدان من اليوم السابق. لم تكن هناك أي خيام منصوبة، وصعُب علينا أن نختار مكانًا في كل هذه المساحة

لأن الأمر كان محرجًا. اخترنا مكانًا عشوائيًا ونصبنا خيمتنا، وتوافد علينا كلُّ مَن كان في الميدان، فبالرغم من أن الخيمة لم تكن فارهة إلا أنها كانت أفضل من المتوفّر لدى المتظاهرين المتواجدين في ذلك الوقت.

يمكنني التفاخر الآن بأنني عِشت في ميدان التحرير لمدة ١٣ يومًا. كنت أنام هناك كل ليلة وأعود لمنزلي كل يومين تقريبًا لساعتين مثلًا للاستحمام وشحن الموبايل إلخ.. ثم أرجع للميدان ثانية.

التحرير= البيت

في عام ٢٠٠٨ قضيت عدة أشهر بباريس (لم تكن مثل التحرير، ولكنك ستلاحظ الشبه حالًا)، وكانت هناك لحظة شعرت فيها بأن هذه المدينة هي بيتي بعد أن استقررت فيها لعدة أسابيع. الأمر أشبه بتحوّل جنرال عسكري يرى الأمور من الخارج إلى جندي في قلب الأحداث. بعد خروج وائل غنيم من أحد السجون العسكرية، وظهوره في حوار مباشر على أحد البرامج التلفزيونية الشهيرة، توافد ملايين الناس ـ من بينهم وجوه جديدة ـ على منطقة وسط البلد. يومها كنت أحاول جاهدًا شقّ طريقي في وسط هذه الحشود الغامرة عائدًا إلى بنسيون الحرية (خيمتي في التحرير) فوجدت نفسي أصيح بأعلى صوتي: «باكره السيّاح!».

تلك كانت لحظتي مع التحرير.

بالنسبة لي لم تكن الخيمة مجرد مكان نوم مع مئات الآلاف من المتظاهرين فحسب، بل كنت أعيش حياة جديدة فيها (ولو بشكل

مؤقت)، حياة هدفها البقاء حتى يفهم مجنون عمره ٨٢ سنة الرسالة التي نقولها له بكل اللغات! كنت أعيش في حيّ جديد مليء بأناس يَشْكُون من مشاكل قديمة، تَجمُّع جميل هدفه الوحيد هو إسقاط نظام يحتضر. في الوقت الذي فقدت فيه أصدقاء كثيرين، كسبت كلًّ من كانوا حولي.

الحياة اليومية في البنسيون

أغلقتْ معظم المحلات في منطقة وسط البلد أبوابها في أول يومين بعد جمعة الغضب، وخاف الناس من العودة للحياة الطبيعية؛ ولهذا كان لدينا نقص في الإمدادات الغذائية لعدة ساعات. أقول عدة ساعات فحسب لأن أصدقاءنا وأهلنا أَتَوا للميدان ليمدونا بكميات من «الاحتياجات الأساسية» التي تكفي لإطعام مدينة صغيرة. وازداد توافد الطعام لدرجة عدم وجود مكان كافٍ للنوم في البنسيون. كان من الطبيعي جدًّا أن أنام وأستيقظ لأجد علبتَيْ تَمْر بجواري أو كيسًا به علب بسكويت أو شوكولاتة فوقي. وبعد عدة أيام أتى بائعو الكشري والسندوتشات والبطاطا والفيشار بالقرب من البنسيون، وكان يمكنني أن أسير لدقيقة لأصل إليهم (وقد تصل إلى ٢٥ دقيقة في الأيام المزدحمة، فزحام القاهرة واحد من الأشياء التي لن تتغير أبدًا!).

صار نومي متقطعًا خاصة في الليالي التي اضطررنا فيها للسهر لحماية أنفسنا؛ هذا بالإضافة إلى برد الفجر القارس الذي كان يُحيل نومي لغفوات متقطعة. في أول أسبوعين كنت أنام من الحادية

عشرة مساء لغياب الترفيه المسائي في الميدان، وأستيقظ من الثالثة إلى الخامسة صباحًا وأعود لنومي مجددًا في حوالي التاسعة. هذه الغفوة الصباحية التي كانت تمتد لساعتين (حسب الظروف) كانت ضرورية جدًّا لصمودي.

كان هناك أيضًا مسرح رئيسي (جهاز عرض «بروجكتور» وقطعة قماش ضخمة معلقة على المبنى الذي أسفله مطعم «هارديز») لم يتوقف عن البثّ طَوال الليل. كانت الأنشطة التي تدور في الميدان لا نهائية، ما بين خُطب متنوعة، أو نقاشات لتبادل الآراء في الوضع الحالي والخطوات التالية، أو أشخاص يصرخون فينا لنعود لمنازلنا (وكأن هذا سيؤثر فينا أصلًا). وعندما يقرر الفريق المسئول عن الإذاعة التوقف عن السماح للناس بالصعود للمنصة وإلقاء الخطب، كان الجميع يغني الأغاني الوطنية ويبدأ الاحتفال. هل أخبرتكم أننا بدأنا بمنصة واحدة، وانتهى بنا الأمر بست منصات؟ كنت أستطيع سماع ثلاث منهم من مكاني في البنسيون.

بالرغم من أنني لا أهتم بتناول وجبة الإفطار في أيامي العادية، إلا أن يومي في البنسيون كان يبدأ بتناول وجبة من الطعام الموجود هناك. وبحلول الحادية عشرة صباحًا كنت أستقبل أول فوج من الزوار. كانت الأجواء هادئة عمومًا في الصباح، وفي المساء يبدأ الاحتفال لدرجة يصعب عليك معها إيجاد مساحة شخصية لك. كنت أعد لنزلاء بنسيون الحرية ولزوّاره الدائمين كافة أنواع السندويتشات، ولم يفرغ الصندوق الذي وضعناه على يمين البنسيون من الماء أو العصائر أو المشروبات الغازية، وبالرغم من أننا كنا نستهلك الكثير،

إلا أن معدل إعادة ملء الصندوق بواسطة أصدقائنا وأهالينا كانت أكبر من استهلاكنا بكثير.

صار ميدان التحرير مجمعًا سكنيًّا ممتلئًا بالبشر من جميع الأشكال والألوان، وبدأ المهاجرون الأوائل (إحنا يعني) في تطوير بنيتهم التحتية؛ فالخيمة ذات البطانيتين التي بدأنا بها تطورت إلى بنسيون شامل متكامل! أولًا، زِدنا عدد البطاطين، وأنشأنا بهوًا للبنسيون أمام الخيمة مباشرة يجلس فيه الزوار لتناول الطعام، ووضعنا شنطتين بلاستيك من الحجم الكبير للقمامة على جانبَي البهو، وصندوقًا به كل المشروبات والطعام، حتى إننا نصبنا خيمة أخرى بجوارنا للضيوف وأطلقنا عليها اسم «الحرية كوفي شوب».

في آخر يومين كُنا قد توصلنا إلى اتفاقية مع الجيران وجيران الجيران بأن يمدونا بأسلاك كهرباء، وهكذا وصلت الكهرباء إلى بهو البنسيون حيث يمكن للجميع شحن تليفوناتهم المحمولة وأجهزة «اللابتوب»، ولكن استخدام الغلاية الكهربائية كان ممنوعًا (بحسب قوانين جيران جيراني، الذين سرقوا الكهرباء من أحد أعمدة النور الرئيسية في الميدان، فإن الغلاية تستهلك طاقة كهربية أكثر من تحمل الكابلات). ولكننا لم نقلق على أي حال لوجود «نصبة» شاي في كل ركن.

اليافطة

كتبت «بنسيون الحرية» على يافطة البنسيون بالعربية حتى أتى أحدهم وكتب «Freedom Motel» بالإنجليزية تحتها. كنت على

أتم استعداد لكسر عنقه والادعاء بأنه بلطجيّ وتسليمه للجيش، لكن الجوّ الإيجابي العام جعلني أسامحه وأتجاوز عن سيئاته! حاولت أن أشرح للجميع أن اللغة العربية هي الأنسب لاسم البنسيون، ولكنني غيرت رأيي بعد عدة أيام وأضفت «La Pansion de la Libertad» بالإسبانية وتحتها الشعار «No Pasaran».

فكرة الشعار كانت لصديقي أوسكار، ويعود إلى أيام الحرب الأهلية الإسبانية في أواخر ثلاثينيات القرن الماضي. عندما حارب الفاشيون اليساريين وقبضوا على كل المثقفين والفنانين في البلد، وجَدَتْ مدريد ـ مركز تجمع البوهيميين في هذا الوقت ـ نفسها محاطة بمدن يمينية مليئة بالفاشيين المتشددين، فوضع العديد من السكان عبارة «no pasaran» على أبواب بيوتهم، والتي تعني «لن يمروا» أو «ممنوع المرور» دلالة على صمودهم في هذه الحرب للنهاية. وبغضّ النظر عن أن مدريد ـ وباقي إسبانيا ـ قد سقطت في يد الفاشيين وظلت تحت حكم الدكتاتور فرانكو لمدة ٤٠ عامًا، إلا أن الرسالة لا تزال ملهمة وتناسب موقفنا ونحن ندافع عن التحرير ضد فاشية مبارك وأعوانه. بعد يومين من نصب خيمتنا صار هناك «بنسيون الحرية ٢» و«بنسيون الحرية ٣» و«بنسيون الحرية ٤»، وبعدها تم إنشاء «منتجع الحرية» و«بنسيون الحرية للنساء». وبالقرب من نهاية فترة بقائنا كان صديقي ـ وزبون بنسيون الحرية الدائم ـ شريف الألفي يفتتح بنسيونه الخاص الجديد «بنسيون الحرية ٥».

الثلاثاء ٨ من فبراير
أميرة صلاح أحمد

طاقة التحرير

في ٦ من فبراير، رجعنا للعمل في المكتب، وبدأ الإعداد لطبعة اليوم التالي. أخيرًا أصبح لدينا جريدة مرةً أخرى، ورغم أن هذا أبقانا في المكتب طَوال اليوم، كنت أذهب إلى التحرير بقدر المستطاع بعد العمل.

فتحت البنوك في ذلك اليوم، وبدأتِ الأخبار الاقتصادية تتوالى. لم يكن هناك تهافت على البنوك كما توقّع الناس، ربما بسبب الحديث المتفائل عن تنحّي مبارك وآثاره الإيجابية على الاقتصاد المصري، لأن تلك الخطوة سترُدّ على تخوفات المستثمرين بسبب ملف التوريث، وستحد من الفساد المستشري. ما زالت البورصة مغلقة تمامًا، ولكن شهادات الإيداع الدولية في السوق العالمية لم تكن سيئة للغاية. حركة التجارة والاقتصاد ما زالت بطيئة.. ولكنها على الأقل لم تتوقف.

أقيمَ قُداس الأحد في وسط ميدان التحرير: مشهد رائع ومؤثر.

كانت وحدتنا الوطنية على المحكّ وقت تفجيرات كنيسة القديسَيْن بالإسكندرية ليلة رأس السنة؛ قبل شهر واحد فقط. ولكن يومًا كالسادس من فبراير أثبت أن المصريين يمكن أن يتعايشوا معًا في سلام، وأن الوحدة قائمة طالما ابتعدت الأيدي القذرة للنظام عن إشعال نار الفتنة الطائفية. كنت ترى على الدوام صور الصليب والقرآن الكريم جنبًا إلى جنب، والقساوسة والشيوخ يمشون معًا.

على الرغم من الانطباعات الإيجابية، كان هناك تخوّف من تراجع الروح الثورية بعض الشيء، أو بقاء الوضع على ما هو عليه، غير أن الناس سئمت تعنت النظام ومكابرته. ثم أُطلق سراح وائل غنيم، وأُجري معه حوار تلفزيوني مؤثر أعاد الذكرى لأولئك الذين نسوا الشهداء الذين ضحّوا بحياتهم من أجل مصر. وقد نجح ذلك في التأثير على الكثيرين الذين نزلوا إلى الشارع أكثر تصميمًا وتلاحمًا من ذي قبل؛ فجاء يوم ٧ من فبراير حاشدًا.

ويوم ٨ من فبراير، بدأ الناس الذين لم يذهبوا للتحرير يحسون بأن الوضع بات آمنًا للنزول، وبدأ الشباب يصطحبون ذويهم. كان الحشد يكبر ككرة الثلج مدفوعًا بقوة الروح الإيجابية، وبسيادة الشعب. في تلك الليلة رأيت الناس ينامون تحت دبابات الجيش وحولها ـ وقد كتبوا عليها كلمات مثل «الحرية» و«ارحل» ـ بحيث إذا أرادت أي منها التحرك سيضطرون لدهسهم بالمعنى الحرفيّ. تمكنت من زيارة بنسيون طارق شلبي الشهير بـ«بنسيون الحرية» في وسط مدينة خيام منظمة حتى في عشوائيتها؛ لم يكن ينقصها سوى أسماء الشوارع.

ثم كانت هناك المستشفيات الميدانية المؤقتة ـ وهي تذكِرة قاسية

لفظائع «موقعة الجمل» والدماء التي سالت يومها، في مقابل الجو الاحتفالي الآمن في التحرير الآن. بدأت أعداد أكبر من الذين لم يذهبوا للميدان من قبل في التوافد عليه، خاصة مع الشعور المتزايد بالأمان، ليرَوا بأنفسهم هذه الجمهورية التي يسمعون عنها فكسبتهم في صفها بسهولة.

غادرتُ الميدان وأنا أشعر بالنشوة. في تلك الأيام، إذا شعرت بالحزن أو الإحباط أو التعب أو التشاؤم، كان الذهاب إلى التحرير له مفعول السحر. إذا كنت تؤمن بقوة الطاقة الإيجابية، فالتحرير أروع مثال على ذلك.

الأربعاء ٩ من فبراير
سارة السرجاني

العمــال

بدأتْ أخبار إضرابات العمال تتوالى منذ الصباح: مئة يتظاهرون هنا وألف يتظاهرون هناك، كان من الصعب متابعة ما يحدث. لم يكن غالبية العمال المضربين يهتفون بسقوط النظام، لكنهم كانوا يهتفون لتحسين الأجور وظروف العمل - وهي المطالب التي تُظهر أشكال الظلم والتي اندلعت شرارتها واستمرت في تغذية الاحتجاجات. ربما كانوا يدعمون المتظاهرين المعتصمين في مدن مختلفة، أو استلهموا الجرأة منهم، لكن المحصلة النهائية كانت واحدة: زيادة في أعداد المواطنين الذين لمستهم روح الثورة التي تنتشر مثل النار في أرجاء الدولة. وحتى لو انتهى الأمر إلى إعطاء الحكومة العمالَ بعض حقوقهم الأساسية التي أنكرتها عليهم زمنًا طويلًا فسوف يعد ذلك انتصارًا. كانت الحكومة تقدم تنازلات لاسترضاء الشعب دون أن تنفذ فعليًّا مطالبهم الرئيسية. لكن المتظاهرين كانوا أكثر تفاؤلًا وتصميمًا على تحقيق أهدافهم.

امتدت منطقة الاعتصام من ميدان التحرير حتى نقطة قريبة من مجلس الشعب ومباني الحكومة، وكان كل يوم يشهد قدوم وفد من قطاع مختلف يتظاهر أو ينظم مسيرة للتحرير لإظهار الدعم: أساتذة جامعة القاهرة، محامون وغيرهم. كذلك ساهم إظهار التضامن بين المسلمين والمسيحيين في تعزيز الشعور بالوحدة، فبدد الشكوك التي طالما حاولت الحكومة ووسائل إعلامها زرعها في قلوبنا بشأن جدوى هذه المظاهرات.

لا زال صوت زميلي جوزيف فهيم، الجياش بالعواطف عندما كلمني يوم الأحد ليخبرني بأن المسلمين انضموا إلى المسيحيين في صلاتهم في التحرير، يسبب لي قشعريرة. واليوم في دار حضانة بالقرب من عملي يهتف الأطفال: «ارحل ارحل يا مبارك!» أثناء لعبهم، كما لو كان الهتاف أغنية أطفال معتادة. يبدو أن روح الثورة انتقلت إليهم أيضًا.

لقد أظهرت الحكومة بالفعل أن وعودها بشأن الإصلاح باطلة مثلما كانت خلال السنوات الثلاثين الماضية، فالحوار الذي بدأته مع الأحزاب وحركات المعارضة ثبت أنه لم يكن لشيء سوى المظهر الإعلامي، بل إن المطلب الأول للمتظاهرين برحيل الرئيس لم يكن ضمن الأجندة. ولتبديد أي شكوك لدى الناس بشأن نوايا الحكومة فقد قال نائب الرئيس الذي عُين قبل ١٠ أيام: «إن المصريين غير مستعدين للديمقراطية». في مقابلته التلفزيونية الشهيرة مع كريستيان أمانبور مراسلة محطة «إيه بي سي» الأمريكية قال عمر سليمان؛ نائب الرئيس، إن المصريين يفتقرون لثقافة الديمقراطية ـ وهو نفس الخطاب الذي ظل النظام يستخدمه لتعطيل الإصلاحات السياسية.

كانت الرسالة واضحة: ليس أمام المصريين سوى الاعتماد بعضهم على بعض، فبإمكانهم معًا أن يفرضوا التغيير. وغدًا ينظم عمال وسائل المواصلات العامة إضرابًا شاملًا. ربما حينها ستدرك الحكومة المصممة على الإنكار أن أساليبها العتيقة لن تنجح.

الخميس ١٠ من فبراير
أميرة صلاح أحمد

أمـل خـادع

يبقى الحال على ما هو عليه. نفس المحاولات المائعة لتهدئة الثوار بوعود الإصلاح الساذجة التي يقدمها نائب الرئيس الذي يُردد السخافات نفسها. كان الوضع أفضل عندما لم يكن هناك نائب رئيس. كلما تحدث عمر سليمان يزيد الطين بلة، ولم يعد الأمر مضحكًا على الإطلاق.

الثوار تعبوا وجاعوا ولا ينامون، والصحفيون مُنهكون، وبدأ الناس يعتادون مجد ميدان التحرير شيئًا فشيئًا. كنت أخشى أن نخسر ما حققناه إذا لم نحقق إنجازًا أكبر. كانوا يخططون لاستنزاف قوتنا واغتصاب ما تبقى لنا من أمل. في نهاية الأمر، الوقت كله في صالحهم، وكل الثروة والرفاهية في العالم، والأخبار عن مليارات مبارك أطارت عقول الناس. لم نعرف كيف نتابع هذه الحكاية. ثم جاءت شرارة الأمل متأخرة يوم ١٠ من فبراير. أعلنوا أن مبارك سيلقي خطابًا «بعد قليل»، وتحوّل الأمل إلى يقين راسخ. تصورنا

أنه سيتنحى؛ كنا نعرف أننا انتصرنا وننتظر فقط الخبر اليقين لنبدأ الاحتفال ـ حتى إننا رأينا قوس قزح كبير في سماء القاهرة بعد المطر فاعتبرناه فألًا حسنًا. أعلنوا أن المجلس العسكري في حالة انعقاد مستمر حتى يستقر الوضع، ووعدوا بالاستجابة لمطالب الشعب وأحلامه.

أحيانًا تستمر «بعد قليل» إلى الأبد، وأصبحنا لا نطيق ردود فعل مبارك المتأخرة دائمًا. بدأ أحدهم هاشتاج رائع على «تويتر» (#ReasonsMubarakislate) (أسباب تأخر مبارك). انتشر الموضوع في العالم كله الذي كان ينتظر معنا الخطاب استعدادًا للاحتفال بينما نُصبّر أنفسنا بالفكاهة والتعليقات الساخرة. تسربت الأنباء عن احتمالية تنحيه.. واقتربت النهاية. كنا ننتظر الخبر على أحرّ من الجمر في المكتب حتى نُزيِّن الصفحة الأولى بإعلان النصر.

ثم جاء الخطاب مخيبًا للآمال بشكل ساحق. لم يتنحّ تلك الليلة، فَعَلا هتاف ثوار التحرير الذين استشاطوا غضبًا. بدأوا يُلوّحون بالأحذية ويرمونها على وجهه الظاهر على الشاشة في الميدان والخلق كلهم يبكون. أشار إلى «شهدائكم» و«دمائكم» التي لن تذهب سدى ليزيد بكلامه الفجوة بيننا وبينه أكثر.

كان سيناريو العنف متوقَّعًا. أتذكر دردشة مع أحد الأصدقاء خارج مصر يؤكد فيها أنهم سيُطبّقون الأحكام العرفية إذا ما توجه الناس إلى القصر الجمهوري. كان على يقين أن الجيش سيطلق النار على الثوار لتفرقتهم. ثم تحدث نائب الرئيس الذي نصح الناس بالعودة لبيوتهم، وطبعًا لم يستمع له أحد. بدأت المسيرات تتجه لمبنى الإذاعة

والتلفزيون وقصر الرئاسة، لم يخططوا لذلك وإنما جاء القرار وليد اللحظة فأيده الجميع ـ كان الشيء الوحيد المنطقي بغض النظر عن النتائج. عسكرنا في المكتب مرة أخرى لأنه كان علينا أن ننتظر الخطاب المتأخر. مبارك جعل حياتنا بائسة حتى في أتفه الأمور. ليلة أخرى على الأرض الباردة؛ لم يترك لنا خيارًا سوى تمنّي المصير الأسوأ له. كانت فكرة بقائه إلى الأبد تستهلكنا إلى أقصى درجة.

الخميس ١٠ من فبراير
سارة السرجاني

في انتظار النصر

هل هو نصر؟ مجرد ورود أخبار عن أن مبارك قد يتنحى أشعل الاحتفالات في شوارع مصر، لا سيما في مواقع المظاهرات. أما المخاوف بشأن السيناريوهات السوداوية لانقلاب عسكريّ أو فَرْض الأحكام العرفية فقد تم تنحيتها جانبًا بشكل مؤقت. كان هذا وقت الاستمتاع بطعم نصر مستحق، أو على الأقل نصر محتمل. كانت الأيام السبعة عشر التي أفضت بنا إلى هذه اللحظة مليئة بتغيرات في المشاعر وانتعاشة غير مسبوقة للركود السياسي.

في البداية كان هناك اتحاد المتظاهرين على مطلب تنحّي الرئيس. كانت الصور من ٢٥ إلى ٣١ من يناير موسومة بدماء الذين قُتلوا، لكن عليها رذاذ التآخي والوحدة. أما الشقاق الذي تلا ذلك فقد فرّق بين المصريين، بل وبين أفراد العائلة الواحدة. كان اسم مبارك قد صار مرادفًا للاستقرار، بينما استخف تلفزيون الدولة بشكل منهجيّ بالمتظاهرين المؤيدين للديمقراطية. الشوارع التي كانت يومًا ما آمنة

صارت خطرة بالنسبة للصحفيين بسبب انتشار الغوغاء المناصرين لمبارك. لقد كان من المثير للغضب ومن المحبِط أحيانًا مجرد محاولة الكتابة، لا سيما أن قدرًا كبيرًا من الطاقة تبدد في شرح ما ظننته من البديهيات ـ الديمقراطية والحرية ـ وكيف أن مبارك ونظامه يمثلون النقيض التام لهذه القيم.

لكن لم يزل هناك أمل؛ فقد أُطلق سراح الناشط وائل غنيم، منسق صفحة «كلنا خالد سعيد» على «فيسبوك»، التي ساعدت على تعبئة المظاهرات، في ٧ من فبراير، بعد ١٢ يومًا من اعتقاله. لقاؤه التلفزيوني المفعم بالعواطف، الذي انفجر خلاله باكيًا حينما شاهد بعضًا من صور ٣٠٠ قتيل خلال المظاهرات، أحيا الأمل في الأمة، والأهم أنه وحّدها. الزخم الذي كان يُخشى من فقدانه أُعيد إحياؤه من جديد وأعداد المتظاهرين في الشوارع الآن جاوزت أعدادهم في الأيام الماضية. إضرابات العمال التي بدأت بقوة كبيرة في ٩ من فبراير أحيت دعوات تغيير النظام. مسيرة الجمعة التي أُعلن عنها لإحياء ذكرى الشهداء كان يُتوقع لها أن تجتذب أكبر عدد من المتظاهرين تشهده البلاد عبر تاريخها.

وبرغم أن الشعب كان حذرًا في شعوره بالسعادة بعد تسرّب أخبار عن الرحيل المحتمل لمبارك ـ بسبب خوف الناس من البديل القاسي لإعلان الأحكام العرفية أو الحكم العسكري ـ فقد كان جليًّا أن الفرحة قد طغت. مشاهد الناس وهم يحتفلون ـ التي لا يمكن مقارنتها بالاحتفالات التي تلي الانتصارات الكروية ـ كشفت عن القوة والإرادة وحب الحياة التي ازدادت قوة، بغضّ النظر عما لدى

مبارك ليقوله للشعب. هذه اللحظة ـ قبل إلقاء مبارك خطابه المُحيّر الذي قال فيه إنه ينقل سلطاته لنائبه دون التنحي عن الحكم، وهو ما خيّب آمال المتظاهرين وأشعل غضبهم ـ كانت مُفعمة بالانتصار.

ويوم الجمعة يمكن أن يؤكد هذا الانتصار، لكن حتى مع بزوغ فجر اليوم كان من المبكر جدًّا الحكم على الوضع.

الخميس ١٠ من فبراير
نادية العوضي

ترقُّب.. أمـل.. و... بس خـلاص!

الدنيا ليل. الوقت يقارب العاشرة مساءً. تجمّعنا أنا وأصدقائي في التحرير. كانت الشائعات قد وصلتنا جميعًا: سوف يستقيل الرئيس. كنا نُغني ونهتف ونحن في قمة الابتهاج. نقف على إحدى فتحات التهوية بالقرب من المنصة الرئيسية التي أقامها المتظاهرون في الميدان. يحمل كلٌّ منا علمه، فتتراقص الأعلام بخفة في الهواء. نقسم أنا وأروى على أن نرقص «بلدي» في الشارع لو استقال مبارك الليلة! يشتري لي عادل عبد الغفار عَلمًا جديدًا بعد أن سقطت عصا علمي القديم في فتحة التهوية عندما كان صديقنا كمال صلاح ـ أحد رفاق الغطس أيضًا ـ يلوّح به. تنحني أروى فوق الفتحة، وأغطيها بجسدي حتى تتمكن من سماع البي بي سي على التليفون حيث كانوا يُجْرون معها لقاءً مباشرًا على التلفزيون. محمد يحيى وعلا زوجته، وصديقهما أحمد، وأحمد مصطفى رفيقي في الغطس، كلنا متحمسون. ننتظر، وننتظر، وننتظر.

يظهر مبارك على الشاشة الكبيرة خلف المنصة الرئيسية. ترقُّب.. أمل.. و... بس خلاص! لا يصلنا الصوت فيطلب الجميع من حولنا من أقاربهم في البيوت أن يضعوا سماعات التليفون على التلفزيونات حتى يمكننا سماع خطاب الرئيس. نحاول أنا وأروى الاستماع عبر تليفون أحمد مصطفى. نسمع طراطيش كلام. لا يبدو الأمر مُبشِّرًا. ينوي البقاء. أصرخ في إحباط: «حسبي الله ونعم الوكيل!»، وتُكرّر أروى الهتاف من ورائي. يُسكتنا الناس الذين ما زالوا يريدون الاستماع لبقية الخطاب الرئاسي. كنا على وشك البكاء من الغيظ. وفجأة، يرفع أحد الواقفين أمامنا في الميدان حذاءه، ثم يتلوه آخر، فآخر. بسرعة، أصبح جميع الرجال والنساء والأطفال الواقفين في الميدان ممسكين بأحذيتهم ردًّا على الخطاب. «شايفة اللي بيحصل؟ ما أروع المشهد!»، ألتفت لأروى وأردد: «ما أروع المشهد!».

الخميس ١٠ من فبراير
محمد الدهشان

مش ماشي

كان من المفترض أن نتقابل في اجتماع تخطيطيّ آخر في جاردن سيتي في السادسة. استخلصت نفسي من الجموع وتوجهت إلى هناك. كان الزوجان اللذان التقيتهما في المصعد وأنا أول مَن وصل، وفي مكان اللقاء كانت تجلس مجموعة عجيبة من الناس ـ تعرفت على أحدهم؛ ممثل مغمور على ما أعتقد ـ يشاهدون التلفزيون بينما يتناولون المشروبات. «حزب الكنبة».

ثم كان عليَّ أن أخرج من هناك بعد السابعة بقليل، كان حظر التجول يبدأ في الثامنة، وكان يجب عليَّ أن أحضر خطوبة أخي. كان قد تم تحديد تاريخ الخطوبة قبل أسابيع ليتوافق مع أيام إجازة والدَيْنا. حاولت أن أُقنعهم بتغييره ولكنني فشلت بجدارة. أخبرتهم ـ وكررت كلامي عدة مرات خلال السهرة: «لو مبارك مشي النهارده وأنا مش في الميدان عمري ما هاسامحكم!».

وصلت إلى بيت العروسة قبل بدء حظر التجول بقليل، وأعددت

نفسي لسهرة تمتلئ بالابتسامات المفتعلة. كنت سعيدًا لأخي طبعًا ـ ولكن كانت أحوال البلد تشغلني عن أي شيء آخر من حولي.

حاول أحد أفراد أسرة العروسة أن يقنعني بأن مظاهراتنا بلا جدوى. هززت رأسي متظاهرًا بالموافقة. الحقيقة أنني أردت أن «ألبسه قلم يلف رأسه»، ولكنني لم أُرد أن أُدمّر الليلة. ولا أن أدخل في مهاترات لا داعي لها. أنا واثق أنه لا توجد صورة واحدة لي في تلك الليلة أنظر فيها للكاميرا. كانت عيناي مُثبّتين على شاشة التلفزيون.

بدأ خطاب مبارك وانتهى وسط صمت مُطبق في البيت؛ لو رميت الإبرة على الأرض لرنت.

ثم بدأتُ أضحك. يا غبي! مش عارف عملت في نفسك إيه! قضيت على نفسك بجدارة! ولا أقصد بذلك أنه سوف يُقتل، بالرغم من أن الأمر غير مُستبعد ـ ولكنه يُعرض نفسه لأكبر موجة غضب شعبي رأيتها أنا ومعظم من حولي في حياتنا.

شخصيًّا، بالرغم من غضبي الشديد من فكرة أنني لم أكن في الميدان لأشارك هذه اللحظة مع الملايين من أهلي المصريين، أعترف بأنني كنت سعيدًا أن مبارك لم يستقلْ أثناء غيابي.

أخيرًا، ابتسمت للكاميرا التي كانت تُمسكها أخت العروسة.

وحتى نتمكن من قيادة سياراتنا في هذا الوقت المتأخر، قاد أخو العروسة؛ وهو ضابط جيش شابّ، الموكبَ، بحيث كانت نقاط التفتيش تنفتح بمجرد النظر إلى بطاقته العسكرية. تمامًا مثلما كان يفعل ضباط الشرطة في أيام ما قبل الثورة.

هذه ليست بشرى خير.

الخميس ١٠ من فبراير
محمود سالم

رهان مبارك

اليوم، مبكرًا، تحدثت مع وائل غنيم وأخبرني أن أنتظر أخبارًا رائعة سنعرفها حوالي الساعة الخامسة مساء، ولكنه لم يفسر ماهية هذه الأخبار. في العاشرة صباحًا، سمعنا أن السعودية ومعها الإمارات والكويت يعدون شحنة مساعدات لمصر لتكون بديلًا عن المساعدات الأمريكية. في الرابعة عصرًا وصلتنا أخبار مفادها أن الرئيس ينوي التنحّي الليلة وتفويض جميع سلطاته إلى نائبه عمر سليمان. ثم اجتمع قادة الجيش وأصدروا بيانهم الأول، في اجتماع تم بدون مبارك أو نائبه حوالي الساعة الخامسة مساء. في التاسعة مساء بتوقيت القاهرة، ألقى الرئيس الأمريكي أوباما خطابًا يهنئ فيه الشعب المصري على مسيرته نحو الديمقراطية، وبدا أن تنحّي مبارك أصبح أمرًا محسومًا. وأخيرًا، وبعد تأخير ساعة عن الموعد المقرر، وعلى العكس من كل التوقعات والمعلومات، ألقى الرئيس حسني مبارك خطابًا رفض فيه التنحّي من منصبه، وقال إنه يرفض التدخل الأجنبيّ في مصر. أعلن البيت الأبيض بعدها أن النظام المصريّ قد خدعه.

ما معنى كل هذا؟

هذا يعني أربع نقاط أساسية:

١ ـ مبارك لن يترك السلطة بدون حمّام دم. أيّ محاولة للخروج السلمي تم تجاهلها وصرف النظر عنها من قِبَل نظامه، وهم ينوون محاربة إرادة الشعب حتى النهاية.

٢ ـ لقد أحرق مبارك بخطابه صورة حسام بدراوي ومجلس الحكماء. كان حسام بدراوي؛ الأمين العام للحزب الوطني، هو وجه الحزب الوطني الذي أعلن أن مبارك ينتوي تسليم السلطة الليلة. والآن لم يعد لبدراوي أي مصداقية. نفس الشيء ينطبق على مجلس الحكماء، حيث ركّز خطاب مبارك على أنه استجاب لمطالبهم، والتي لا تشمل تنحّيه عن منصبه. سأكون مندهشًا للغاية إذا لم يترك أغلب أعضاء مجلس الحكماء مناصبهم غدًا.

٣ ـ نحن غالبًا نرى أول انقسام في نظام السلطة في مصر؛ فيبدو أن القوات المسلحة في معسكر، والرئيس وأجهزة المخابرات والحرس الجمهوري في معسكر آخر. إذا أضفت إلى هذه المعادلة وزارة الداخلية والمتظاهرين، سترى أن هناك أربعة لاعبين الآن في صراع شرس على السلطة غير معروفة نتائجه. نحن الآن في انتظار البيان الثاني من المجلس الأعلى للقوات المسلحة لتوضيح موقفهم بشكل قاطع ونهائيّ. هل سيقف الجيشُ مع.. أم ضد المتظاهرين؟ هذا القرار هو الذي سيحدد المحصلة النهائية لليوم.

٤ ـ وَضَع مبارك الآن الولايات المتحدة في مأزق: فلقد خدع البيت الأبيض وأعلن عن نيته لمقاومة التدخل الأجنبي. أضف إلى ذلك أخبار المساعدات العربية، فكأنه يبعث برسالة واضحة إلى أمريكا مفادها أن «اذهبوا أنتم ومساعداتكم إلى الجحيم، وأنا سأحصل على النقود من العرب. وأين ستكون حبيبتكم الغالية إسرائيل من كل ذلك؟ إذا كنتم لا تريدوننا أن نخلق المشاكل على هذه الجبهة، عليكم أن تخرسوا ولا تتكلموا عما سنقوم به تجاه شعبنا وتدعمونا لنستمر كلنا في برنامجنا، وإلا... !». إذا وضعت كل هذه العناصر في الحسبان، سيبدو لك المشهد منذرًا بالكوارث. إذا كان هناك انقسام بين النظام والجيش فعلًا، سنشهد صراعًا دمويًّا عنيفًا غدًا. إذا أخذ الجيش صف الرئيس ستتوجه أسلحتهم نحو المتظاهرين المُصرّين على ألا يعيشوا تحت حكم مبارك ليوم آخر. وهذا يعني أيضًا أنه وَضع على المحك مستقبلَ الحكومة الانتقالية برئاسة عمر سليمان؛ لأن مصير سليمان الآن أصبح مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالرئيس. إنها معركة من أجل البقاء؛ إما بقاء النظام وإما بقاء الشعب. الخبر السيئ أن النظام لديه كل الأسلحة والتنظيم. الخبر الجيد هو أن الناس مصممون على موقفهم وأعدادهم في تزايد، وقد يتدخل الجيش وينقذنا جميعًا ويحقن الدماء.

كل شيء يتوقف على بيان الجيش.

الانتظار يقتُلني!

الجمعة ١١ من فبراير
أميرة صلاح أحمد

جمعة النصر

رجعنا للبيت مبكرًا هذا اليوم لنستريح قليلًا ثم نعود للمكتب بعد الظهر، كنا نعاني من آثار خيبة أمل الليلة السابقة. في المكتب، اصطحبتْ رانيا طفلها الرضيع حسن الذي نجح في الترويح عنا جميعًا ـ كان تميمة الحظ الخاصة بنا. في الوقت نفسه انتشر مراسلونا في التحرير وعند ماسبيرو والقصر الرئاسي. أعددنا الجريدة بتلك الأخبار، وكان من الواضح أن المعتصمين لا يتجمعون فقط في التحرير. تساءل الجميع كم من الوقت سيسمحون للثوار بالتظاهر حول القصر؟ ولماذا سَمح لهم الجيش بالمرور من الأساس؟ وعما إذا كانوا ينوون اقتحام مبنى التلفزيون؟!

أعلنوا عن خطاب آخر «بعد قليل» ونحن على وشك إرسال الجريدة إلى المطبعة. انتظرنا طبعًا، معتقدين أننا سنستبدل الخبر على الصفحة الأولى بخبر آخر عقيم وممل ومستفز. كنا أكثر حذرًا هذه المرة، لم يكن لدينا هذا الكمّ من التفاؤل والأمل كالمرة السابقة.

وفـ . ظهر وجه عمر سليمان عديم الروح على الشاشة مع رجل غريب يقف وراءه. بدا سليمان شاحبًا وخائفًا كما لو أنه رأى شبحًا، وأعلن في بضع جمل مقتضبة، في تمام السادسة مساء.. تخلي مبارك عن السلطة.

انفجر في مصر بركان من الفرحة كما لو كانت تحتضن العالم بأسره. دموع وعناق في المكتب وفي التحرير، والألعاب النارية في كل مكان. ذهول أمة بأكملها لم تصدق النجاح الذي حققته. ثم ظهر على الشاشة أحد أعضاء المجلس العسكري الذي أمسك بزمام السلطة بدلًا من مبارك، وقام بتحية الشهداء.. شهداءنا؛ لم يكن هناك بيت واحد في مصر كلها لم يبكِ أمام هذا المشهد. كانت لحظة مؤثرة ومشحونة نتخذ منها عبرة تفيقنا من فرحتنا قليلًا.

كنا أنا ورانيا وسارة في حالة من الذهول، واستغرقني الأمر بعض الوقت لأستوعب الخبر. لم نأخذ وقتًا طويلًا في الاحتفال ـ كان لدينا عمل نقوم به. نظرنا إلى بعضنا البعض وجرينا إلى العمل. كنا نعرف أن علينا استبدال الأخبار التي أعددناها للطباعة بأخبار جديدة تمامًا. بدأت غرفة الأنباء تطنّ بمقابلات صحفية حماسية وتقارير مراسلينا. في خلال ثلاث ساعات فقط، ظهر عدد الثورة وعنوان النصر في المانشيت الرئيسي يتألق بأحرف عريضة حمراء: مبارك يتنحى ومصر تحتفل.

انطلقنا إلى التحرير. البلد كله في الشارع. الألعاب النارية تضيء السماء والأعلام تُرفرف في كل مكان، الناس يتعانقون ويرقصون معًا دون سابق معرفة. الزغاريد تُجلجل وأبواق السيارات تعلو بإيقاع متناغم. كان احتفالًا فوضويًا تلقائيًا.. بُركان سعادة انفجر. طَوال ثلاثة

العقود الماضية لم يحس المصريون بمثل هذه الفرحة سواء كانوا داخل مصر أم خارجها.

وبالطبع، واصلنا الاحتفال صباح اليوم التالي مع صحفيين وناشطين آخرين في منزل أحد الأصدقاء. وصلنا إليه بعد أن انحشرنا كلنا في توك توك، لا يُسمح به عادةً في تلك الشوارع ولكنها كانت أكثر وسائل الانتقال عملية في هذا الوقت. لعبنا موسيقى جميلة طوال الليل، وغنينا الهتافات التي دوّت في التحرير على أنغام الجيتار والطبلة والتصفيق. عرض مرتجل متناغم وساحر لدرجة أني فجرت مواهبي المدفونة في الطبل على الأكواب الفارغة في توليفة متماشية مع بقية الآلات ـ أنا التي لا أُجيد الموسيقى. لا مستحيل الآن.

عرفنا حلاوة الانتصار.

ونعرف أيضًا أن الطريق أمامنا طويل وشاق..

ولكن في تلك الليلة المجيدة..

فاقت فرحتنا بالنصر كل الحدود.

الجمعة ١١ من فبراير
نادية العوضي

ده عشان الشُهدا

كنت قد انتهيت لتوّي من صلاة المغرب على العُشب أمام القصر الرئاسي. أسمع أنهم على وشك إذاعة خطاب رئاسي آخر. أتصل بأبي وأطلب منه أن يضع سماعة التليفون على التلفزيون عندما يبدأ الخطاب. يتسلق جندي دبابته ويرفع علم مصر. ماذا يعني ذلك؟ أسأل بصوت عالٍ. يعطيني رجل من ورائي تفسيرًا مضحكًا يقوم على نظرية المؤامرة لمعنى رفع الجندي للعلم بهذه الزاوية بالذات. أشاهد الموقف في انبهار.

بعدها بدقائق، يرن التليفون. أختي على الخط. يبدأ هدير الجماهير. لا يمكنني سماع أختي. طب بتقولي إيه؟ فيأتيني الرد في صورة همهمة غير مفهومة: «بتقولي إيه يا عائشة؟». يكاد هدير الجماهير يصمني. ثم: «أنتِ بتقولي إن الريس تنحى يا عائشة؟». لا أصدق أذني! أنظر إلى الجماهير، وتظهر أروى فجأة من وسطهم وهي تنزل هاتفها من على أذنها. تفتح لي ذراعيها، ووجهها يموج

بعدم التصديق والذهول: «تنحّى يا نادية! تنحّى!». أقفز نزولًا من على الجزء المرتفع الذي كنت أراقب الحشود من عليه. نتعانق أنا وأروى ونبكي طويلًا طويلًا ونردد لبعضنا البعض: «ده عشان الشُّهدا.. عشان الشُّهدا والله». ثم نُطلق زغرودة مصرية أصيلة. أعانق السيدة الواقفة إلى جانبي، وكذلك أخرى لم تمضِ على مقابلتي لها سوى ساعتين، وثالثة لم أتعرف عليها أصلًا. لا يمكنني - ولا أريد - إيقاف سيل الدموع المنهمر من عينيّ. يقفز الناس أمامي ويهتفون ويلوّحون بأعلامهم، ثم فجأة وكأنهم جميعًا قد استحضروا شيئًا مهمًّا. يهتف أحدهم: «يلّا بينا على التحرير!». نبدأ أنا وأروى حَجّتنا الأخيرة لميدان التحرير.

الجمعة ١١ من فبراير
محمود سالم

وانتهت «مصر مبارك»!

اليوم، كان الناس أكثر إصرارًا على التخلص من حسني مبارك، خاصة بعد خطاب الأمس المستفز. ذهبت إلى القصر الجمهوري بصحبة آلاف المصريين وأحطْناه بالكامل. بعد بضع ساعات تلقّينا الخبر: مبارك تنحّى!

مع العلم بأنه لم يتنحّ من تلقاء ذاته، ولكن نحّاه الجيش. لهذا أعلن عمر سليمان الخبر. ولكن هذا ليس مهمًّا. سنستعيد كل الأموال التي سرقوها وسُنعيد بناء البلد بها.

الليلة ستكون أول ليلة أخلد فيها للنوم دون أن أقلق من مطاردة أمن الدولة لي، أو مِن أن تخطفني إحدى الجهات الأمنية الحكومية، أو أن يخترق مدونتي أحد الهاكرز التابعين للأجهزة الأمنية. الليلة، ولأول مرة في حياتي، أشعر أنني حرّ.. ويا لَه من شعور رائع!

توقفوا عن أي وكل الاختلافات والمناقشات مع أي من

المجموعات التي تدير هذه الأجهزة أو تتعامل معها. سنختلف مع بعضنا البعض وسيكون هذا جميلًا لأنه لن تكون هناك دكتاتورية بعد الآن. غدًا سنختلف.. أما الليلة!!

الليلة سنحتفل!

اللعنة عليك يا مبارك.. أتمنى أن تحترق في نار جهنم!

الجمعة ١١ من فبراير
محمد الدهشان

«جيم أوفر!»

كنت على مشارف كوبري قصر النيل، وكنت أفكر في العودة للبيت. ثم سمعت ضجة لا يمكن وصفها من الجماهير، فأدركت، بهدوء غير عادي: رحل أخيرًا.

ولكنني كنت لم أزل في حاجة للتأكد من «تويتر». لذا دخلت عليه بسرعة لأرى سيلًا من التويتات ذات الكلمة الواحدة: إما «أيوووووووووووه!!!» منتصرة، أو «لأااااااااا!!!» غير مصدقة. ليتني التقطت صورة للشاشة وقتها.

كسبنا؟

كسبنا!

كسبنا!

دخلت في وسط المتظاهرين الذي تحوّلوا إلى محتفلين للمرة الأولى وليست الأخيرة في ذلك اليوم. ثم توجهت عائدًا إلى فندق

«سميراميس» واتصلت بصديقتي ويندي حتى تنزل. كانت تراقب المشهد من الشرفة. نزلَتْ وانضمتْ معي إلى الجماهير. تعانقنا وقفزنا. للحظات خطر لي أنه لو كان هذا فيلمًا، لكُنّا الآن نُقبّل بعضنا البعض في وسط الميدان والكاميرا تبتعد في زوم آوت للميدان مع موسيقى رقيقة. ضحكت من هذه الفكرة.

شققنا طريقنا بين الجماهير للوصول إلى خيمة صديقي طارق. لم يكن هو نفسه هناك، ولكنني رأيت أحد الزوّار الدائمين للخيمة. تعانقنا. صعدت إلى طرف الحديقة الدائرية في وسط الميدان حيث كانت الخيمة، مرتفعة قليلًا بما يقل عن متر، ولكنها تمنح رؤية أفضل. أعلام، وبشر! ظل الناس يتوافدون على الميدان حتى ساعات الصباح الأولى. أحضر أحدهم صينية بسبوسة وبقلاوة. ضحكت. هم كانوا مخبينها طول الثورة لحد ما مناسبتها جت ولا إيه؟ التهم الناس الحلويات بسعادة. بعد أيام من نظام غذائي يتكون بشكل أساسي من الخبز وأيّ مما يتبرع به الآخرون، كانت البسبوسة موضع ترحيب حارّ.

كان كل ما أرسلتُه على موقع «تويتر» هو تويتة (تغريدة) واحدة:

مصر، والشرق الأوسط، والعالم كله اتغير. من ميدان التحرير ـ مبرووووووك ـ مصر حرة ـ #٢٥ يناير

قررت بطارية الهاتف أن تنتهي بعد ذلك بقليل.

اتغظت، وضحكت. ضحكت بلا تحكّم.

رجعت للخيمة فوجدت الأصدقاء متجمعين هناك. بعد جولة أخرى من عناق الأصدقاء والغرباء على حد سواء، بدأ الناس في الغناء

والهتاف. ولكن كان الهتاف الذي لا يُنسى ـ بالنسبة لي شخصيًّا ـ هو:

«مش هانمشي! القعدة حلوة!».

غادرت الساعة الواحدة ـ وأخذني أحد الأصدقاء إلى منزل ما بالقرب منا، حيث كانت تتم إقامة حفلة صغيرة مرتجلة. كانت الموسيقى عبارة عن أغانٍ وطنية قديمة والمحصول الجديد من أغاني الثورة. قبل شهر واحد، كان السبب الوحيد الذي قد يدعو مجموعة مثل هذه لسماع مثل هذه الأغاني هو السخرية منها.

أعتقد أن الثورة تغير رجالها.

لا أظن أنه يوجد حقًّا مَن يمكن أن يدّعي أن الثورة لم تُغيره. لا أعلم من أين يمكنني أن أبدأ في وصف الناس المختلفين الذين قابلتهم في الميدان ـ الشباب غير المُسيّسين الذين كانوا في الصفوف الأولى في معارك المولوتوف. أحمد مدرس الإنجليزي الذي أصبح في نهاية الأمر المتحدث باسم الثورة. الآباء والأمهات الذين كانوا دائمًا يأمرون أولادهم بعدم التحدث في السياسة علانية أصبحوا يأتون بأولادهم معهم إلى الميدان.

آي نعم.. نحن شعب مزعج وعديم الالتزام وعنيد ومناكف، بس برضه أجمل شعب.

بحبك يا بلد!

الجمعة ١١ من فبراير
طارق شلبي

بنسيون الحرية.. والعودة للمهندسين

ليلة التنحي أقمنا حفلًا صاخبًا مع جيراننا في الميدان، وعاد صديقنا وليد المصاب للبيات في البنسيون بعد أن كان طَوال الأسبوع يزورنا يوميًّا ويعود ليبيت في منزله. بعد التنحّي قررنا أن نحزم أمتعتنا ونعود لبيوتنا، وكانت أختي نيفين وزوجها روبين هيسنجير وأخي عمرو قد عادوا لمصر وأتوا ليزوروا ميدان التحرير. بعدما قضينا يومًا عائليًّا سويًّا في ميدان التحرير، وتشاركنا القصص، فككنا البنسيون ولممنا أغراضنا وعُدنا إلى «البيت». انتصرنا في تلك المعركة، ولكن لا يزال أمامنا معارك أخرى خارج ميدان التحرير.

عُدت إلى شقتي بالمهندسين حيث لا برد في الفجر، ولا جيران ذوي أفكار ملهمة، ولا صلوات وخُطب في الثالثة فجرًا، ولا طعام معلب، ولا تهديدات. عُدت أخيرًا لبيتي وسط أسرتي، وبينما تستمر الثورة، أغلقنا هذا الفصل من حياة البنسيون.

سيعيش بنسيون الحرية ـ مثل الثورة التي كان جزءًا منها ـ في عقولنا وقلوبنا.

الجمعة ١١ من فبراير
سارة السرجاني

الاحتفال بالثورة

شيء يستعصي على التصديق. استغرق الأمر مني بضع دقائق كي أستوعب الإعلان الذي لم يستمر سوى ثوانٍ معدودة. كان الإعلان قصيرًا جدًّا بحيث يمكن إرساله عبر «تويتر»، لكنه كان قويًّا: الرئيس مبارك يتنحّى.

انفجرتُ في البكاء حينما فهمت فحوى الخبر؛ المظاهرات نجحت بالفعل، والنشاط السلمي في الشارع نجح. أصبحت مصر حرة، لأول مرة في حياتي. ولدتُ في عام ١٩٨٢ أي بعد عام من تولي مبارك الحكم، ولمدة ٢٨ عامًا كان هو الرئيس الوحيد الذي رأيت. في الحادي عشر من فبراير ٢٠١١ تغير هذا. كان انتصارًا للشهداء والمتظاهرين ممن كانت وطنيتهم موضع اتهام وشكّ. وحينما جاء وقت الاحتفال، انطلقت جموع المصريين إلى الشوارع؛ سمعت أبواق السيارات والألعاب النارية والزغاريد بينما كنت أحرر الخبر التاريخيّ لصحيفة «ديلي نيوز إيجيبت». كان المصريون يحتفلون

بميلادهم الجديد، وانهمرت الدموع. حينما أدى المتحدث الرسمي للقوات المسلحة التحية العسكرية لأرواح الشهداء بكى كل مَن في الغرفة. كانت هذه أول مرة يتم فيها الإقرار رسميًّا بفضل تضحيتهم. لن ننساهم ونحن نحتفل هذه الليلة.. ونحن نعيد بناء أمتنا غدًا؛ فدماؤهم لم تذهب سدًى.

«وُلِدت في عام ١٩٨٢، أي بعد عام من تولي مبارك الحكم، ولمدة ٢٨ عامًا كان هو الرئيس الوحيد الذي رأيت. في الحادي عشر من فبراير ٢٠١١، تغير هذا».

سارة السرجاني – ١١ فبراير

هذه ثورة دون زعماء؛ ثلاثة ملايين شخص اختاروا الأمل بدلا من الخوف، وواجهوا الموت بشجاعة كل يوم وكل ساعة ليبقى حلمهم بالحرية حيًّا وحقيقيًّا.. تخيل هذا!

محمود سالم – ٣ فبراير

لم أشعر من قبل بهذا الارتباط بملايين الناس غيري برغم العزلة المفروضة علينا. وهكذا وُلِد سلطان الشعب.

أميرة صلاح أحمد – ٢٦-٢٧ يناير

هذه مدينتي وهذا بلدي وهؤلاء ناسي ونحن نملك هذه الأرض، ولن يستطع أحد سلب بلدنا منا.. وهذه هي البداية وحسب. ولا أحد يحب مصر أكثر من المصريين.

طارق شلبي – ٢٨ يناير

وفجأة، يرفع أحد الواقفين أمامنا في الميدان حذاءه، ثم يتلوه آخر [illegible] جميع الرجال والنساء والأطفال الواقفين في الميدان ممسكين بأح[illegible]اب.

نادية [illegible]براير

آي نعم.. نحن شعب مزعج وعديم الالتزام وعنيد ومناكف، بس برض[illegible]ا بلد!

محمد [illegible]براير



ISBN 978-977-09-3120-2

دار الشروق
www.shorouk.com